$5

السعر ٦٠٠ فلس

الآبَاءُ المخلصيُون

الأبُ فرنسيس يوُسُف المخلصيُ

ترجمة : الاب يوحنان جولاغ

طبع بمطبعة الزمان - بغداد

ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܡܢ ܟܪܙ

Ex Libris
Beth Mardutho Library
The Malphono George Anton Kiraz Collection

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

ܬܫܥܝܬܐ ܕܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
Biographies: Qashishe
Beth Mardutho Library

بلان الرؤساء

١٧٣٢
١٩٨٢

سنة ١٧٣٢ سكن القديس الفونس دي ليغوري مع رفقة آخرين في قرية جبلية واقعة في جنوب ايطاليا تدعى سكالا ، حيث كان القديس قبل ذلك الوقت قد اقام في تلك المنطقة المرتفعة طلبا للراحة ، وبهذه المناسبة رأى كم ان هؤلاء الجبليين مهملون من الناحية الروحية ، فرغم كونهم مسيحيين ، لا يعلمون شيئا عن ايمانهم ، لانهم نادرا ما يحظون بزيارة كاهن ، لذلك قرر القديس الفونس العودة الى سكالا ، بمعية كهنة مرافقين، ليكرزوا بالايمان « للنفوس المهملة » . فعاد اليها يوم ٩ تشرين الثاني سنة ١٧٣٢ . وفي هذا اليوم ظهرت الى الوجود رهبانية المخلص الاقدس .

والان في سنة ١٩٨٢ يربو عدد الاباء المخلصيين على ٦٠٠٠ ، يعملون في جميع بلدان العالم تقريبا ، مستوحين رسالتهم من نفس الروح الذي دفع بالقديس الفونس الى سكان قرية سكالا الجبلية ، وهو الكرازة بالايمان للناس المهملين روحيا .

لقد مر على تأسيس الرهبنة ٢٥٠ سنة ، انه « تاريخ » قرنين ونصف ، نريد هنا التذكير بأهم مراحله ، لانه تاريخ دعوة الهية متواصلة ، فبعد القديس الفونس دعا الله عددا كبيرا من الشباب . وقد اختلفت الظروف التي فيها عاشوا دعوتهم عن تلك التي كانت في بداية الرهبنة . لكن استلهامها ظل هو هو ، واليوم يدعو الله ايضا ، كل شاب يهمه ، مثل القديس الفونس ، الفتور الذي يلاحظه على صعيد الايمان ، والنقص في الثقافة الدينية ، ويرى ان بامكانه عمل شيء في هذا المجال .

الدور الاول : تاريخ رهبنة المخلص الاقدس

منطقة ترامونتي قرب سكالا حيث وعظ المخلصيون في مطـــع رسالتهم

١ ـ تأسيس الرهبنة :

في يوم ٢١ كانون الاول سنة ١٧٢٦ اقتبل الفونس دي ليفوري الرسامة الكهنوتية في كاتدرائية القديس ينواريوس في نابولي (جنوب ايطاليا) . وتعين كاهنا في كنيسة مار ميخائيل في نابولي وهناك شرع باولى خبراته الرعائية ، ولم يكن حينذاك يتميز بشيء عن آلاف الكهنة المتواجدين في مملكة نابولي ، فهو يقوم بالتعليم المسيحي للاولاد ، ويعظ في الكنيسة ، لكن غيرته الرسولية جذبت اليه الانظار . انضم الفونس الى فرقة من الكهنة المحليين اطلقوا عليها اسم نشر الايمان . هدفها القاء سلسلة من المواعظ ، متنقلين من خورنة الى اخرى . اشترك القديس اكثر من عشرين مرة في حملات الوعظ هذه . وكان له نشاط آخر سمي « معابد المساء » وهو حركة شكلها علمانيون ، معظمهم من الطبقة العاملة ، يجتمعون مساء للصلاة ، والاستماع الى موعظة ، ثم مناقشة حول احدى نقاط الايمان . كانت هذه الاجتماعات تجري في كنائس صغيرة او معابد من المدينة ، لذا اطلق عليها اسم « حركة معابد المساء » . في عهد القديس الفونس كان عدد اعضائها يزداد بشكل ملحوظ ، فبكل حق يعتبر الفونس احد مؤسسيها .

عمل الفونس على هذا المنوال لمدة ثلاث سنوات دون ملل . ثم حان له الوقت ليرتاح قليلا ، فاتفق مع كاهنين آخرين في شهر حزيران سنة ١٧٣٠ على القيام برحلة بحرية الى ميناء امالفي والاقامة هناك لفترة من الزمن ، لكن عاصفة ابعدت المركب الى ميناء مينوري . وفي هذه المدينة الصغيرة حظي الكهنة الثلاثة بما كانوا يأملون ، فقد قال لهم مطران الابرشية ان لديه مكانا للراحة ، هو عبارة عن منسك واقع في اعلى الجبل . فهناك اقام الكهنة وحدهم مع الله ، ومع الطبيعة الخلابة ، وبعض الرعاة .

وهناك في اعلى الجبال كان القديس الفونس يلتقي بالرعاة ، انهم اناس بسطاء ، ولا ريب في ان قلبهم قريب من الله ، لكنهم نادرا ما كانوا يسمعون من يحدثهم عنه ، ولدى سماعهم بوصول كهنة الى المنطقة ، كانوا يدفعون بقطعانهم نحو المنسك ، ان الكاهن في نظرهم بركة من الله ، ولكنهم حالما يتكلمون معه ، كان جهلهم بالامور الدينية يصرخ الى السماء ، والقديس الفونس يستمع اليهم ، ولا يصدق ما يسمعه !

فهؤلاء الناس ما كانوا يسمعون بتاتا من يكلمهم بصورة علنية عن الانجيل ، وهل هذا الامر ممكن يا ترى ؟ في حين ان مملكة نابولي آنذاك كان فيها كهنة بعشرات الالوف ؟.. فهذا يعني ان ولا واحدا من اولئك الكهنة قد اقبل على تلك المنطقة الجبلية للوعظ بتعليم المسيح .. ان هذا التساؤل يمس الفونس في الصميم ، لانه واحد من اولئك الكهنة العديدين ، فلماذا لا يترك هو الحياة الرتيبة في المدينة ، ويمضي الى سكان الجبل اولئك ؟ هذه الفكرة راودته واخذت تقلق راحته . ولما حان الوقت ليعود الى المدينة ، ويواصل حياته الاعتيادية ، كان قد اتخذ قرارا بالرجوع الى الجبل ليعلم هناك ، واثقا من كسب كهنة آخرين للعمل معه .

والمسألة بسيطة جدا ، لان الكاهن الغيور على رسالته ، يجد بحسه المرهف المجال الواسع لها ، فما عليه الان الا نقل نشاطه من المدينة الى الجبال . في البداية لم تكن فكرة الفونس تشكيل رهبنة جديدة ، فهذا العمل يقتضيه اشخاص يحددون معالمه ..

في هذه الاثناء برزت نتيجة مباشرة ، وهي ان الفونس ، قبل عودته الى نابولي وعد سيادة المطران غريبرو بأنه سيرجع الى سكالا لالقاء المواعظ بمناسبة تساعية الاستعداد لعيد الصليب . كما ان المطران فلكويا اقترح عليه ان يقوم بعد التساعية ، بالوعظ في رياضة روحية تعملها راهبات حبيسات يقع ديرهن بالقرب من الكاتدرائية .

وكان المطران فلكويا مرشدا روحيا لهؤلاء الراهبات في سكالا ، وقد وضع لهن قوانين رهبنة الزيارة . ومنذ سنة ١٧٢٥ كانت احداهن وتدعى ماريا كروستارودزا ، تؤكد على انها رات سلسلة من الرؤى استلمت خلالها قانونا جديدا ينبغي للراهبات ان يسرن بموجبه . لكن الراهبات جميعا لم يوافقن على تبني قانون اتاهن مباشرة من الله . على اثر ذلك عمت الفوضى والبلبلة في الدير . فعلى القديس الفونس ان يعالج الوضع ويحاول اعادة السلام اليه .

كان الفونس متحفظا جدا ازاء الظواهر الصوفية ، وظل كذلك طوال حياته . وفي كتاباته اللاهوتية امثلة عديدة بهذا الشأن ، منها مثلا كتابه المعنون ـ دليل المعرف ـ لذلك استدرك بقوة مواقف الاخت كروستارودزا .

ولكن بعد بحث دقيق ايد الفونس قانون الاخت كروستارودزا . واتفق معه الاسقفان والراهبات ايضا ، فاصبح الدير يدعى بعد قبول القانون ، جمعية راهبات المخلص الاقدس ، وكان ذلك في ٣ـ٥ـ١٧٣١ . في نهاية هذه السنة استلم الفونس رسالة واردة من المطران فلكويا ومؤرخة في ٤ـ١١ـ١٧٣١ ، يطلعه على ايحاءات جديدة جرت للراهبة ويكلفه بتتبع دعوة يبدو انها اتية من الله .

تقول هذه الايحاءات : ينبغي تأسيس رهبنة اخرى للرجال ، شبيهة برهبنة سكالا ، وعلى الفونس ان يكون هو مؤسسها ورئيسها . كان القديس الفونس منذ اقامته الاولى في سكالا ، يفكر بتشكيل فرقة كهنوتية نشيطة تقوم باعطاء مبادىء التعليم المسيحي للناس المحرومين منه . والى هذه اللحظة لم يتحقق شيء من هذا المشروع ، لكن رؤى الاخت كروستارودزا فاجأت المسألة ، ودفعتها الى امام ، ايضاحا لارادة الله بهذا الشأن .

التقى الفونس بالمطران فلكويا الذي ايد المشروع ، لانه شخصيا كان في سنة ١٧٢٠ قد انشأ جماعة كهنوتية مؤلفة من ١٣ كاهنا هدفها الاقتداء بفضائل المخلص الالهي ، ثم انحلت هذه الجمعية سنة ١٧٢٣ ، فشرع فلكويا يهتم براهبات سكالا ، مدفوعا بايحاءات الاخت كروستارودزا المطابقة لارائه الخاصة ، لذا فان جمعية رجالية ، مكملة لجمعية الراهبات المصلحة تستجيب تماما الى تطلعات المطران .

لهذه الغاية التقى الفونس بالاخت كروستارودزا التي اعادت له نفس الكلام الذي سمعه من المطران فلكويا .

أما الفونس فلم يحبذ التبدل الذي طرأ على المسألة ، ولكن هل باستطاعته ، بعد الجدية التي جابه بها رؤى الراهبة ، ان يشك في صحتها ، وهو الان مهتم بها شخصيا ؟ انه لا يدري ماذا يعمل ، لان تحفظه ازاء فعل ليس ثمرة تفكير عقلي متزن ، يصعب تقبله . لذلك ظهر رد الفعل لديه في احتجاجاته اللاحقة حيث يؤكد انه في مسألة تاسيس الرهبنة لم يستند ابدا على هذه الانوار الخارقة العادة ، بل على مبادىء الانجيل لا غير ، ومن هذا المنطلق ازال عن القوانين كل اشارة الى ايحاءات رؤيوية .

ومن جهة اخرى كانت هذه الايحاءات تصيب الهدف مباشرة . لان الفونس يعرف عن خبرة شخصية مدى الخير الكبير الذي تصنعه جماعة من رسل في جبال سكالا . اذن هلا يمكن لهذه الايحاءات ان تبث الحرارة الروحية في جمعية كهذه ؟.

عرض الفونس القضية على كهنة اصدقاء رافقوه الى سكالا للنظر في هذه الايحاءات عن كثب . فجاءت النتيجة واضحة وجازمة : يجب تكريس الذات لهذا العمل والقيام به دون تأخر .

وهكذا وضعت ايحاءات الاخت كروستارودزا اقدامهم على الطريق ، لقد انحلت عقدة الملابسات التي كانت تمنع نواياهم الحسنة من الخروج

الى حيز التطبيق ، وهنـــا نقرأ كلمات القديس الفونس بعد لقــائه بالاخت الرائية ، وقد كتبها احد الكهنة المرافقين له ، وهي : « فكروا قليلا بقول الاخت ماريا كروستارودزا القائل بأن علي ان اترك نابولي واؤسس رهبانية جديدة في سكالا تدعو الى الانجيل في الارياف ، وهذه المسألة . تقول لي الاخت ، هي ارادة الله . ان المشروع فوق طاقتي . وانتم تعلمون جيدا ما هي مسؤولياتي في نابولي ، فهناك الرسالات التي اشترك فيها ، وارتباطات اخرى كثيرة . ان المسألة تقلقني ، ولا استطيع تحمل اعبائها . ومن جهة اخرى ، اذا لا ابدأ بها ، اخشى ان اكون مقاوما لارادة الله » .

عاد الفونس واصدقاؤه الى نابولي ، وكشفوا عن قرارهم هــذا لجماعتهم التي رفضته بقوة ، لانها لا تريد ان تفقد واحـــدا من خيرة مرسليها . ثم احيلت المسألة الى حكم عالم دومنيكاني هو الاب فيوريلو ، فكان موقفه من جانب القديس الفونس . لكن المعارضة لم تخمد ، فعــاد الفونس يستشير المطران فلكويا ، وهذا بدوره رأى ان لا مجال بعد للتأخر في تنفيذ القرار المتخذ ، فعلى الفونس ان ينطلق الى سكالا ، في هذه السنة عينها ، ويؤسس الرهبنة مع رفاقه .

ظهرت صعوبة اخيرة من اسرة الفونس ، فان اباه لم يدعه يسافر . وراح يعترض عليه لمدة ساعات ، محاولا اقناعه بالعدول عن الســفر ، والانزواء في اماكن مقفرة . حينما وضع القديس الفونس قانون الرهبنة كان متشددا في قضية زيارة الراهب لعائلته ،لعلمه كم ان الراهب يلاقي صعوبة في اتباع دعوته حين تقاومها عائلته .

في بداية شهر تشرين الثاني سنة ١٧٣٢ وصلَ الفونس بصـــحبة اربعة من رفاقه الى سكالا ، واقاموا فيَ بيت الراهبات ، حيث امضـــوا عدة ايام في رياضة روحية . خلال تلك الايـام من الاختــلاء الروحي كانوا يشهدون حادثا عجائبيا يجري في معبد الراهبات من شهر ايلول والى شهر

كانون الاول سنة ١٧٣٢ . فاثناء بركة القربان الاقدس كانت آلات آلام المسيح تظهر على البرشانة . وقد قام احد الاخــوة غير الاكليركيين في الرهبنة المخلصية ، يدعى فيتوس كورتسيو ، برسم المشهد على جدار مجاور . واضحت آلات آلام المسيح المرسومة على الجدار شعار الرهبنة .

وانضم ايضا المطران فلكويا الى هذه الجماعة الصغيرة ، وفي نهـاية الرياضة الروحية تم تأسيس الرهبنة الجديدة ، اثناء القداس في يوم ٩ تشرين الثاني سنة ١٧٣٢ .

وهكذا يتضح لنا كم ان الظروف اعاقت الرهبنة في بدايتها . فرؤى الاخت كروستارودزا عجلـــت في الموضوع ، ولم تتح الوقت للتفكـــير فيه مليا .

كما ان المعارضة الشديدة اثارت عليه البلبلة في هذا التحضـــير المتسرع ، فلم يكن هناك الا شيء واحد واضح وهو ان المخلصيين الاوائل ارادوا ، وقتيا على الاقل ، تكوين جمعية كهنوتية محلية ، فلم يكن عليهم الاجهار بنذور رهبانية بصورة علنية ، انما يشكلون جماعة من الكهنـــة يستجيبون لدعوة الله التي كشفتها رؤى الاخت كروستارودزا ، ويؤدون رسالتهم في منطقة سكالا .

الان فعليهم ان يتفقوا على السلطة في الجمـــاعة ، وعلى قانون يسيرون بموجبه ، وخطة دقيقة في العمل ، ومن هذا كله لا يملكون سوى الارادة الصالحة والخبرة الشخصية التي لكلّ واحد منهم ، فعليهم تنظيم كل الامور الاخرى .

ان مسألة السلطة كانت اكثر المسائل الاخرى سهولة ، فقد تم البت فيها باتفاق جماعي بين الفونس ورفاقه على ان يكون المطـــران فلكويا « مديرا » لرهبانيتهم الناشئة ، مقتفين بذلك مثال جماعات أخرى كثيرة شكلها كهنة محليون ، كانت تختار لها رئيسا او مسؤولا من بين اعضائها

لادارة الجماعة ، والكل خاضعون للمدير الذي يمارس مسؤوليته حسب الظروف ومقتضيات الحال .

لقد فرضت شخصية فلكويا نفسها على جماعة سكالا ، نظرا لنشاطه الواسع في التخطيط لانشاء الرهبنة منذ بدايتها ، وقد التزم الجميع بالانصياع لآرائه لما له من صفات اسقفية حميدة ، وخبرة في الحياة الرهبانية وقيادة الجماعات ، ومواقف حازمة تقضي على الصعوبات التي لابد وان تظهر من الاختلاف في الراي والعقلية ، اضافة الى الصلات القائمة بين الرهبنة الجديدة ودير الراهبات اللواتي كان فلكويا مرشدا روحيا لهن .

ان ادارة فلكويا التي ارتضاها الفونس وجماعته بكامل حريتهم ، لم تقف عند حد في واقعيتها وفعاليتها . فنراه مرارا كثيرة يأخذ المبادرة وهو متصلب في ارادته ومتمسك بارائه ، ولا يتريث كسائر المدراء الاخرين للرهبانيات الرسولية المتواجدة في نابولي ، خصوصا لان جماعة سكالا كانت تتطور سريعا الى الكون مؤسسة رهبانية ، فالدور الذي قام به فلكويا لم يكن فقط دور مرشد روحي لالفونس وجماعته ، فهو بالاضافة الى ارشاد الضمير ، يدير جماعة سكالا في البداية ، ويدير بعدئذ اديرة اخرى اقيمت وهو بعد على قيد الحياة .

فالرهبان يطلبون منه السماح لهم بالذهاب الى الرسالة ، او الموافقة على تأسيس دير جديد ، وقبول اعضاء جدد ، وهو يتوجه برسائل دورية الى الرؤساء المحليين واعضاء الرهبنة ، وعندما جرى للمرة الاولى سنة ١٧٤٠ ، الاجهار بنذر الثبات ، كانت صيغته على النحو التالي : « بين يدي سيادة المطران توماس فلكويا اسقف كاستلاماري ومدير لهذه الرهبنة » . ولوضوح هذه الصيغة ، لم يكن المطران ملتزما بالحضور الى رتبة المجاهرة بالنذر ، وطالما فلكويا حي يرزق ، لم يتخذ القديس الفونس لنفسه لقب رئيس الرهبنة ، بل لقب « المدبر الاول » .

وهذا لا يمنع من ان يكون القديس هو روح المؤسسة ، والمنبع الدائم الذي منه يستوحي فلكويا الاراء والتدابير التي يتخذها ، وهو الذي صرح علانية انه يعتبر الفونس مثل « الآلة المبدئية لهذه المؤسسة » .

ان مسألة القانون كانت اصعب المسائل التي واجهوها ، فهل يا ترى يتبعون قانون الاخت كروستارودزا على علاته ، او ينبغي تكييفه ؟ لذلك غداة تأسيس الرهبنة بدات الاجتماعات برعاية فلكويا حول القانون الذي يجب تبنيه ، ومنذ المباشرة بالنقاش ظهرت الاختلافات في الرأي حول تلاوة الصلاة القانونية ، والزي ، والفقر ، وخلال خمسة ايام لم يعمل الحاضرون أي شيء ، ثم قرروا ان يقوم فلكويا ، الملتزم بالعودة الى ابرشيته ، بتحرير القوانين .. وبانتظار ذلك يسيرون على نظام مؤقت .

الى الان لم يتم الاتفاق بينهم على قضية الرسالة العملية ، هل يعيشون الحياة التأملية (مثل الراهبات) أم يمارسون النشاط العملي . وقام الجدل بينهم حول ما اذا يحق للمطران فلكويا ان يعدل القانون الذي اعطته الاخت كروستارودزا ، بحيث يتضمن الرسالة العملية أم لا . وبخصوص الرسالة نفسها ، جرى الجدل حول ما اذا ينبغي فتح مدارس ، أم الاكتفاء بالمواعظ لا غير .

على أثر هذه الاختلافات التي دامت اربعة اشهر ، تفككت الجماعة تماما ، ولم يبق بمعية الفونس سوى الخوري بيترو رومانو والاخ الغير الاكليركي فيتوس كورتسيو .

فالوضع بات ميؤوسا منه ، وفي هذه الاثناء لم يحفظ الرهبنة من الانحلال التام سوى النذر الذي اجهر به الفونس في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٧٣٢ ، للبقاء وفيا للمهمة ، في حين ان البقية تخلوا عنه . فقد صمم الفونس على ان لا يرجع الى نابولي الا بأمر صريح من المطران فلكويا .

٢ ـ نشاط الرسالات :

ـــ الموافقة على القانون (١٧٤٩) :

لم ترتخ عزيمة المطران فلكويا لتيقنه التام من ان الرهبانية الجديدة تستجيب لدعوة آتية من الله . فقد قال للقديس الفونس : « انك تكسب اكثر مما تخسر في هذا الفراق ، دعنا نترك الامر لله وللزمن » .

اتخذ الفونس القصد الراسخ بانه اذا وجد من بين الكهنة الجدد من يتقدم الى الرهبنة ، فعليه ان يكون مستعدا لتقديس ذاته . لان بذل ذات لله غير مشروط وحده يستطيع ان يفيد النفوس المهملة . لقد وصلتنا من بداية الرهبنة رسائل تعبر عن مطالب القديس الفونس القائل : « من لا يريد ان يقدس ذاته ، لا يمكنه البقاء بيننا . لان الرب ، الذي يحب الرهبنة ، يطرده منها ، ويريد ان تكون اسس بنائها الاولى قوية بحيث تستطيع ان تحمل الحجارة التي توضع فوقها ، وتلك التي تكلل بناءها » .

ان الله لم يكن بحاجة الى وقت طويل لتحريك دعوات جديدة . والطالبون الجدد عبروا حقيقة عن رغبتهم الصادقة في تقديس انفسهم .. نذكر منهم الابوين قيصر سبورتيلي وينواريوس سارنيلي . وكما ان الاخ جراردوس مايلا انضم الى الاخ فيتوس كورتسيو ـ وقد فتح محضر تطويب الابوين المذكورين ـ والاخ فيتوس . اما جراردوس فهو قديس معروف من الناس . وهناك اسماء اخرى يرد ذكرها في هذه الحقبة الاولى من تاريخ الرهبنة ، اولئك المرسلين الذين تدعو سيرتهم الى الدهشة والاعجاب ، مثل الاب كافارو ، وفيلاني ، وبلاسوتشي وغيرهم ...

رغم تباين الاتجاهات بين اعضاء الجماعة ، بدأ المخلصيون بالعمل الرسولي منذ ساعتهم الاولى في مستهل سنة ١٧٣٣ . فقد انطلق الفونس مع فيتوس كورتسيو وعضوين اخرين ، لالقاء المواعظ في منطقة ترامونتي ، الواقعة في اعلى الجبال خلف سكالا ، هذا النشاط الذي حال دون القيام برسالات جديدة ، ولكنه استؤنف بزخم اقوى في شهر حزيران سنة ١٧٣٣ . انه عمل روحي مركز ، تقوم به فئة من كهنة شباب في قرى دنا ضوء ايمانها من الانطفاء . فخلال عشرة ايام على الاقل ، يتوجهون بارشاداتهم الروحية الى البالغين ، وقت المساء ، واثناء النهار ، يعطون التعليم المسيحي للاولاد ، وينظمون حفلات دينية . ويختمون هذه الحملات الدينية بسماع الاعترافات لساعات طويلة ، ثم يشترك الجميع بالدنو من مائدة الخلاص . وهنا لا يصعب علينا ان تتصور مدى التجدد الديني الذي كانت تعمله تلك الحملات الروحية في سكان القرى الذين ما كانوا بحاجة الا الى نشاط كهذا ، لينتعش ويزدهر ايمانهم الضامر في قلوبهم .

بعد مرور وقت قصير انهالت الطلبات على الاباء ، من هنا وهناك ، للقيام بمثل تلك الحملات الرسولية ، ولقلة عددهم ما كانوا يستطيعون تلبيتها جميعا . فهناك قرى كبيرة ومدن صغيرة تريد الاستفادة من هذا الري الانجيلي ، وفى الواقع لم يبق مكان على طول شواطىء املفي لم يمر فيه الآباء . وفي معظم كنائس المنطقة اقيم تمثال للقديس الفونس ، وهذه التماثيل وضعت بعد اعلانه قديسا ، تذكارا للمواعظ التي القاها في تلك الكنائس ..

جعل القديس الفونس ان لا تكون هذه الحملات مثل النار في الهشيم ، تتوهج بسرعة ، وتنطفىء بسرعة ـ فقد اعطى توصياته للاباء ليتفقدوا ، بعد فترة من الزمن ، الاماكن التي وعظوا فيها ، ليشفعوها بزخم روحي آخر لمدة اسابيع .

ان دلائل كثيرة صغيرة تشير الى النجاح الذي حققته تلك الرسالات . فمن خلال التجدد الروحي العام الذي كان يطرأ على القرية برمتها ، نشاهد اهتداءات فردية مؤثرة : فالبعض منهم تصالحوا فيما بينهم بعد عداوة طويلة ، وخطاة مشهورون تابوا عن عوائدهم السيئة . وفي مدينة مايوري تقدمت ام ، وقد اغتيل ابنها ، حاملة ثيابه الملطخة بدمائه ، والقتها أمام الصليب ، علامة على انها غفرت للقتلة .

لقد اضحى بيت الضيوف العائد الى راهبات سكالا ، حيث حل الآباء مؤقتا ، غير كاف لاستيعاب الراغبين الجدد في الرهبنة ، فتحولت الجماعة الى بيت « كازا اناستازيو » الواسع ، وهذا صار اول دير للاباء المخلصين ، وذلك سنة ١٧٣٣ .

ان ما جرى في هذا البيت يتيح لنا المجال لاكتشاف سمات اخرى برزت في حياة المخلصين الاوائل . فمن جهة نرى رسالتهم تزدهر باطراد ، وحالتهم المادية في سكالا تعاني من العوز . كما ان ادارة البلدية وعدت بأن تعطيهم كنيسة وبيتا ، لكن تنفيذ الوعد تأخر كثيرا . وكان الآباء قد وافقوا على العناية بتربية اولاد المدينة لدى عودتهم الى البيت بعد القاء المواعظ ، لكنهم لم يعط لهم أي تعويض مالي عن هذا العمل . ومن جهة اخرى شرع كهنة المنطقة يتشكون من ان الاباء يحرمونهم من حسنات القداديس ، وانهم يؤدون خدمات هي من واجب الاكليروس المحلي ، من هذا كله استنتج القديس الفونس انه من الافضل للاباء ان يتركوا سكالا ، العزيزة على قلبه . وقد تم ذلك فعلا بسنة ١٧٣٨ ، حين تحولت الجماعة الى دير تشوراني المبني سنة ١٧٣٦ . ولم تعد ملكية دير سكالا الى الآباء المخلصين الا في سنة ١٩٣٠ . ثم جرى ترميم دير كازا اناستوزيو ، ويأتيه الرهبان لقضاء فترة من الدراسة والاختلاء . ان لدير تشوراني اهمية مثلما لدير سكالا . ففي تشوراني وصلت المؤسسة الناشئة الى دور البلوغ . سنة ١٧٣٤ القى القديس الفونس سلسلة من المواعظ في هذه

المدينة الصغيرة بمعية رفاقه الرهبان ، فكان تاثير مواعظهم ونمط حياتهم قويا جدا لدى الشعب بحيث طالبوهم بالبقاء عندهم . وعرض عليهم بارون المدينة السيد انيلو سارنيلي قطعة ارض واعدا باتخاذ التدابير اللازمة لبناء كنيسة ودير . ولم يستطع الفونس رفض هذه المكرمة . فتحول الى تشوراني في مستهل سنة ١٧٣٦ ، ولم يزل الدير قيد الانشاء ، اما الآباء فقد اقاموا في غرف اعدت لهم بصورة وقتية . احدى الغرف كانت فوق دكان لبيع الشراب ، واخرى فوق مبنى مركز الشرطة . وكان الناس يجدون هذا الوضع سيئا للغاية ، فكانوا يتهافتون لتقديم كل الخدمات الضرورية للاسراع في اقامة الدير . وقد حقق تشوراني فكرة القديس الفونس عن دير مثالي للمخلصيين ، فهو يقع في وسط منطقة هي بأمس الحاجة الى المواعظ والتعليم . اضافة الى بعده عن مواقع الضجة والازدحام . فبامكان الاباء بعد عودتهم من اعمالهم الرسولية ، ان يختلوا فيه لوقت من التعمق الروحي الشخصي ، وتبادل الخبرات في حقل الرسالة . فكانت الصلاة الجماعية تتناوب مع التأمل الفردي . وكانوا يدرسون ويناقشون اللاهوت الادبي في « قضايا واقعية » . ولهم اوقات مخصصة لدراسة اللاهوت العقائدي ، والتصوف ، والليتورجيا ، ان تشوراني بناية واسعة ، كسائر اديرة المخلصيين التي اقيمت في بداية الرهبنة . والسبب هو استخدام الدير للرياضات الروحية ايضا .

أقام القديس الفونس في هذا الدير من سنة ١٧٣٦ والى سنة ١٧٥١ . في هذه الفترة نظم آباء تشوراني ٢٤٣ حملة روحية في اماكن مختلفة . البعض منها كانت واسعة النطاق بشكل ملحوظ ، كتلك التي أقيمت في نابولي سنة ١٧٤١–١٧٤٢ ، وقد شملت المدينة برمتها ، وذلك بادارة القديس الفونس والاب فيلاني . وكان الهدف منها انعاش روح الصلاة لدى ابناء الشعب .

وفي تشوراني ايضا ابرز الفونس ورفاقه سنة ١٧٤٠ نذر الثبات المشفوع بالقسم ، لقد كان النذر والقسم ضروريين ، بغية تنظيم افضل لتلك الحملات الروحية ، لان أعضاء الرهبنة لم يكن لهم دائما نذور علنية ، لذا تركها الكثيرون . فلكي يحصلوا على المزيد من الرسوخ والمعرفة المسبقة بعدد الآباء الذين يمكن الاعتماد عليهم في تنظيم هذه الحملات قرروا ان يؤدي اعضاء الرهبنة قسم الارتباط بنذر الثبات .

في ٢٠ نيسان سنة ١٧٤٣ توفي المطران فلكويا ، وبوفاته انتهى نظام من الادارة برأسه رئيس غير منتم الى الرهبنة . وكان فلكويا ، باتفاق مع القديس الفونس ، قد قرر اقامة سلطة ، داخل الجمعية نفسها ، ولهذه الغاية سن نظاما لاختيار رئيس اعلى .

بعد اسبوعين من وفاة فلكويا التئم المجمع العام في تشوراني ، لاختيار رئيس اعلى ، وقد اختير القديس الفونس لهذا المنصب بعد الدور الرابع فقط من التصويت ، بعد عشر سنوات من ظهور الرهبنة الى الوجود لم يبق المؤسس وحده ليبدو فيها الواجهة الاولى .

وقام المجمع ايضا بتحليل السنوات العشر الماضية في حقل الرسالة ، كما ونظم الحياة في الدير تنظيما ادق ، والقانون الذي كلف المطران فلكويا باعداده ما كان قد اكتمل بعد ، فطلب الى كاهن آخر للقيام بهذه المهمة الضرورية .

ان هذا النشاط كله ، على صعيد الرسالة وتنظيم الرهبنة ايضا ، بين ان المؤسسة كانت قد تجاوزت الى حد بعيد مرحلة بداياتها المتسمة بشيء من البلبلة ، ومع ذلك فقد كان ينقصها شيئان ضروريان وجوهريان على حد سواء ؛ للقضاء على عدم الاستقرار الذي كان يهددها دوما وهي في طور النشوء . اولا تأييد الرهبنة رسميا من قبل الحبر الاعظم . ثانيا التأييد من قبل الحكومة . قام الاب فيلاني بدور الوسيط بين الكرسي

الرسولي والرهبنة ، وفي يوم ٢٥ شباط سنة ١٧٤٩ وافق البابا بندكتوس الرابع عشر على قانون الرهبنة ، فمنذ الآن لرهبنة المخلص الاقدس ، حق شخصي رسمي امام الكنيسة ، فالنذور التي يبرزها اعضاء هذه الرهبنة اضحت نذورا رهبانية بقوة الشرع .

اما الحكومة فكان موقفها متشددا أكثـــــر . ومع ذلك لابد من الحصول على هـــــذا المطلب الثاني الضروري لبقاء الرهبنة . اذ بدون موافقة صريحة من قبل الدولة لا يمكن للرهبنة ان تمتلك شيئا ، ولا يحق لها ان توجد .

ويكفي مجرد قرار من قبل الملك لالغاء الرهبنـــة ، ولا ننسى ان سنة ١٧٠٠ والسنوات التي تلتها كانت موسومة بنزعة فولتيرية معاديـــة للاكلــــيروس . وفي مملكة نابولي كان قد صـــــدر قرار ملكي بتاريخ ٩-٤-١٧٤٠ يمنع تأسيس اية رهبانيـــة جديدة ، بدون اذن من الملك ، والتأييد الكنسي الذي جرى سنة ١٧٤٩ لم يكن ذا قيمة قانونية في مملكة نابولي اذا لا يحظى بالتثبيت من قبل الملك ، لكن الملك كارلو الثالث لم يرد الغاء الرهبنة ، لمعرفته بالفائدة الناتجة عن عمل الرسالات التي يقوم بهـا الآباء منذ ١٧ سنة ، غير انه ، من جهة اخرى ، لم يقل كلمة « موافق » .

وبعد مشقات جسيمة حصل الاباء على الموافقة من قبل الدولة ، عقب ثلاثين سنة مرت على الموافقة الكنسية .

٣ ـ انقسام الرهبنة :

سنة ١٧٥١ ذهب القديس الفونس للاقامة في دير باكاني ، الـذي تم انشاؤه ، كغيره من اديرة كثيرة ، بعد حملة روحية نظمها الاباء في هذه القصبة . والصعوبات التي قامت بوجه هذا التأسيس لم تستطع ايقافه .

في هذه الحقبة كان اكبرهم يشغل الفونس هو نيل الموافقة الملكية لرهبانيته . فقد كان يخشى في وقت ما من ان تلغى الرهبنة نهائيا . ولكن البلاط الملكي اصدر سنة ١٧٥٢ قرارا يأتي بحل وسط . لان الرهبنـة لم تنل الاعتراف بالقانون الذي ايده البابا بنديكتوس الرابع عشر ، والذي طالبت بالموافقة الملكية عليه . ومن جهة اخرى ، وهذا امر غريب ، سمح البلاط بالابقاء على البيوت الاربعة المؤسسة كما هي ، على ان لا تعتبـر بيوتا رهبانية ، بل محل اقامة لجماعة من الكهنة لا غير . كما ويجب وضع ممتلكات الرهبنة تحت ايدي الاساقفة المحليين . وهؤلاء بدورهم يدفعون لمعيشة الآباء حدا ادنى من المصاريف التي تؤخـذ من واردات هذه الممتلكات ، اما الباقي فيوزع على الفقراء .

ويستطيع اعضاء الجمعية الحصول على واردات تاتيهم عن طريق ارثهم الشخصي .

في اوضاع كهذه ، ليس للرهبانية اذن اي حق قانوني ، لكنها تستطيع ان تواصل عملها . وهذا هو الشيء الاهم في نظر الفونس ، وهو على كل حال ، لا يستطيع ان يأمل بوضع افضل في الوقت الراهن .

ظل وضع الرهبنة متقلبا وغير مستقر ، ويا ليتها تستطيع ان تقوم خارج مملكة نابولي ، فعدد المنتمين اليها اليوم ستون عضوا ، وبامكانهـا البـدء بتأسيس جديد اذا اتيحت لها الفرصة ، وكل سـنة يأتيها

راغبون جدد. فمن الافضل لها ان تتخلص من قيد المملكة الخـــانق. سنة ١٧٥٥ نجح الفونس في تحقيق حلمه . فقد تم تدشـين ديـر في قرية صغيرة تدعى سانت انجيلو دل كوبولو الواقعة فى مقاطعـة بينيفنتـو والعائدة الى ممتلكات دولة الكرسي الرسولي فى مملكة نابولي .

بعد عشرين سنة فتحت الرهبنة ديرين أخرين فى قلب الدولـــة الحبرية هما دير شيفيلي ودير فروسينونه .وهذا الاخير صادرتـــه الحكومة سنـــة ١٨٧٠ لكـن الكنيســة وبيت الضيوف الاصلي اعفيـا من المصادرة . والمكان يحتفظ دوما بصيفته التاريخية ، اذ ان الاب دي باولا الذي سيظهر على مسرح الاحداث بعد قليل ، توفي فيه سنة ١٨١٤ ودنن خلف المذبح الكبير ــ اما شيفيلى فما زال ديرا معروفا عائدا للمخلصيبن ولهذا الدير تاريخه الخاص . فقد عزم الفرنسى لويس ارنو نحو ســـنة ١٧٥٠ الدخول الى رهبنة السكوتيين في كازاماري المجـاورة لفروسينونه وكان له من العمر اربعون سنة . لكن السكوتيين راؤا ان صحتـه الواهية لا تقاوم عيشتهم القاســية . فانزوى السيد ارنو فى قرية شـيفيلي . ولم يكن فى القرية كنيسة، فوعد ارنو، صاحب الواردات الطائلة ان يبني كنيسة . ولكن صعوبة واجهته في هذا العمل وهي من اين يجد كاهنـــا يرغب فى الاقامة الدائمة في هذه القرية المغمورة! سافر ارنو الى رومــا ودرس اللاهوت وعاد بعد خمس سنوات كاهنا لخدمة اهالـــي شيفيلي الذين احبهم .واستمر على تلك الخدمة لمدة عشرين سنة.ثم شـــعر بالشيخوخة تدب فيه ، فشرع يبحث عن خلف لـــه . وعلى اثر لقائـــه بالاب دي باولا الذي كلمه عن الحملة الروحيـــة التي ينوي المخلصيـــون القيام بها في شيفيلي ، حضـرته خاطـرة . واذا به يفاجىء الاب دي باولا قائـلا : اذا نجحت هــذه الحملة فاني اتخلى لكـم عـن كنيستي وبيتي وحقولـي هنا . ان الحملة نجحت ، والكاهــن الشيخ وهب للاباء ممتلكاته فى شيفيلي . وبهذه الطريقـة لم تحرم قريتــه الحبيبة من كهنة ابـــدا ،

والمخلصيون من جهتهم شعروا بالارتياح لحصولهم على ديرين وسط الدولة الحبرية .لان مماكة نابولي كانت في هذه الاثناء قد ضمت مقاطعة بينفنتو الى حدودها. ففي سنة ١٧٦٨ استولى لويس الخامس عشر على افينيون، بدافع الثأر من البابا كليمنضوس الثالث عشر الذي كان قد استدعى دوق بارما امام محكمة الكنيسة . وتضامنا مع ملك فرنسا ، استولى تانوتشى وزير ملك نابولي كارلو الثالث على مقاطعة بينيفنتو ، ولم يعدها الى البابا الا في سنة ١٧٧٤ . وهكذا دخل دير سانت انجيلو المخلصي تحت سلطة نابولي .

وفي هذه الاثناء ايضا يحق لنا ان نذكر حادثا اخر مهما وهو ان القديس الفونس صار اسقفا لابرشية سانت اغثا داي غوطي سنة ١٧٦٢ – وكان القديس فى باكاني حينما ورده خبر يقول ان اسمه مرشح للانتخاب الاسقفي . فلم يصدق الخبر في بادىء الامر . ثم وجه رسالة الى البابا تستعرض فيها الاسباب التي لاجلها لا يمكنه قبول المسؤولية . ولظنه ان المسألة تنهيها الرسالة ، علق عليها قائلا « ان هذه التجربة كلفتني ساعة من الوقت واربعة دراهم لساعي البريد» .لكن البابا لم يقبل بهذا القليل. فالح عليه، ولم يكن لالفونس اي مفر من القبول .

رغم اعتلائه الكرسي الاسقفي ظل الفونس محتفظا بلقب الرئيس العام للرهبنة. اما الادارة الفعلية فكانت بيد الاب اندرئاس فيلاني بصفته نائب الرئيس .

لم يشأ الفونس فى ابرشيته ان يبدأ كهنة الابرشيون بالقاء نظرة الارتياب على رهبنة اسقفهم . فكان اول اهتمام يشغل فكر المرتسم الجديد هو تنظيم حملة روحية في الابرشية كلها ، نظرا لاهميتها في اذكاء الحرارة الروحية . ولكنه لم يستدع ولا واحدا من المخلصيين

للمشـــاركة بهـذا العمـل ، بـل اســتقدم واعظين كثيرين منتمين الى رهبنيـات مختلفـة .

كانت الابرشية بحاجة ماسة الى عناية اسقفها الجديد . الا انــه بصفته رئيسا اعلى للرهبنة ، كان يبعث من وقت لاخر رسـائل توجيهيـة الى الاب فيلاني – واحدى هذه الرسـائل مؤرخة بعد الغاء رهبنــه اليسوعيين سنة ١٧٧٣. وكان قد بلغ الى مسامع القديس الفونس ان الكرسي الرسولي ينوي اعطاء كنيسة اليسوعيين فى روما للابــاء المخلصيين . ومن مطالعتنا لمقاطع مـن هذه الرسالة نرى كيف ان المطران لم يغب عن فكره قيد شعرة، الهدف الذي من اجله اسس رهبنتـــه . فقد رفض قبول الكنيسة المذكورة. وكان مستعدا لمواجهة البابا شخصيا لانهاء هذه المسألة ، فهو يقول بصددها : « ولماذا نذهب الـى روما ؟ لان اقامتنا في رومـا تعني هـدم الرهبنة ، اذ بتخلينا عن الحملات الروحيـة شـيئا فشيئا نبتعد عن الهدف الذي من اجله انشئت الرهبنـــة . ففي روما الوف غيرنا يمكنهم ان يعملـوا ما نعمله نحـن فيها ، ولكـن اذا تركنا القيام بالحملات الروحية ، فمن يا ترى يقوم بها عوضا عنا ؟ »

لم يكن الفونس في ابرشيته يبدي تجاه المخلصيـات نفس التحفظ الذي كـان يعامل به كهنته المخلصيين . فقد استقدم راهبـات الى مدينة سانت اغثا داي غوطي سنة ١٧٦٦ . وهن من الراهبات السكوتيـات . وبهذا اراد الفونس ان يكون فى ابرشيته مركز للصلاة . بعد ١٣ سنة مـن المسؤولية ثقلت مهام الابرشية على كاهل القديس ، وقد قارب من سنبـه الثمانين . فقبلت استقالته ، وفى سنة ١٧٧٥ عاد الفونس الى دير باكاني .

قضى الفونس فى باكاني اقسى ايام حياته . في هذه الاثنـاء اختفى عن المسرح السياسي برناردو تانوتشي، الذي كان لسنين طويلة العدو المدود للرهبنة ، مانعا اياها من الحصول على التأييد الملكي ، فـرى

الاباء بأن الظروف مؤاتية للمباشرة من جديد بالمفاوضات مع الدولة بغية الحصول على كيان رسمي . وقام بهذه المحاولة اثنان من الاباء وقد اتاحت لهما توجيهات القديس الفونس مجالا واسعا للمبادرات الشخصية فى المفاوضات ،معتقدا ان بامكان الرهبنة الاكتفاء بمضمون القرار الصادر سنة ١٧٥٢ . « فى حالة اصرار الحكومة على ان لا تكون للرهبنة ممتلكات خاصة، فباستطاعة المفاوضين القيام بتنازلات واسعة. اما بخصوص القانون الذي وافق عليه البابا بندكتوس الرابع عشر ،فلم يكن بامكانهما اجراء تعديلات جوهرية عليه .

ماذا تعني ياترى تعديلات جوهرية؟ اثناء المفاوضات الغيت النذور الرهبانية الثلاثة ومعها القسم على الثبات .اما الشؤون الاخرى، فلم ينظر فيها .

لعلنا لانصدق موقف ممثلي الرهبنة الاثنين، ولكننا نفهمه مليا اذا ما وضعناه فى اطاره التاريخي. فالدولة ما كانت تريد قيام رهبانيات جديدة.وما كانت تقبل الا بجماعة من الكهنة مرتبطين فيما بينهم بقسم ما ، وليس بنذور رهبانية . كما وفرضت قيودا اخرى ، غايتها ربط الرهبنة مباشرة بالسلطة المدنية. ولكن كان الافضل للرهبنة ان تنال الاعتراف بها حتى في ظروف كهذه ، من ان تبقى موقوفة . لذا رضى المتفاوضان بموقف الدولة، وقبلا كلمة قسم بدل كلمة نذر. ثم ان الدولة ما كانت تقبل بوجود ممتلكات مشتركة. وبذات الفعل الغي نذر الفقر! ولكن كان باستطاعة الاباء ان يعيشوا الفقر دون نذر معلن .

وقبل ذلك بمدة اي في سنة ١٧٧٩ كانت الحكومة قد اعطت لاعضاء الرهبنة حقهم فى تركها متما شاؤا ذلك . فهذه المسألة اذا لم تكن جديدة بالنسبة للمتفاوضين . وقد فكرا بامكانية قبولها وخلاصة القول، ان قسم الثبات قد الغي تماما .

كما وطرات تبدلات اخرى ، مهمة ايضا ، ولكنها اضيق نطاقا . فقد احيل مشروع قانون بهذه الصيغة الى القديس الفونس للموافقة عليه ولكن هل باستطاعته ان يؤيده ؟ وعمره الان ٨٣ سنة وهو كليل النظر وثقيل السمع . والوثيقة بخطها الناعم وما اجري عليها من تصليحات وملاحظات هامشية تستنفد قواه. بامكانه فقط ان يقرا اوراق الحملات الروحية التي لم تمسها يد بشطب او بتعليق . ونظرا لثقته بالمفاوضين اللذين كلفهما هو نفسه بشان المناقشات مع الدولة، استعفى عن قراءة الوثيقة. واكتفى فقط بطلب راي الاب فيلاني. وهذا الاب كان يعرف اغلب التغييرات التي اجريت على القانون الذي ايده البابا ، ولكنه ، كما اعلن ذلك بعد حين ، لا يعلق اهمية كبرى عليه ، لانه يعتبر ان القانون الذي يراد تاييده من قبل الملك، ليس له قوة الزامية ضميريا . فما هذا الاعتراف الرسمي سوى صيغة شكلية تضمن الشرعية القانونية للرهبنة، التي بامكانها ان تتبع عمليا القانون الذي وافق عليه البابا. فلا داعي اذا لتقديم الاعتراضات. هذا هو الراي الذي قدمه الاب فيلاني للقديس الفونس ، قائلا : ان كل شيء على ما يرام ، بعد صياغة النص حسب رغبات الحكومة تمت الموافقة عليه . ونحو نهاية شهر شباط سنة ١٧٨٠ وصل « القانون » المؤيد الى باكاني . فلما علم القديس البنود التي بموجبها نالت رهبنته الموافقة الرسمية صرخ قائلا : « لقد خانوني ، لقد خانوني !» . لان هذا « القانون »والحق يقال ، ابطل عمليا القانون الذي ايده البابا بنديكتوس الرابع عشر .

اما الاباء الاخرون ، فقد قابلوا اعلان « القانون »بردات فعل مشابهة ، هي مزيج من الامتعاض والشعور بالمرارة ، بلغت الى مسامع المسؤول الحكومي للشؤون الدينية في نابولي - فلكي يقضى بسرعة على اي شكل من اشكال الرفض ، اصدر الى الرهبنة امرا رسميا بتاريخ ١-٧-١٧٨٠ ، يقضي بتطبيق « القانون » حرفيا . بعد هدوء الوضع

نوعا ما ، دعت الرهبنة الى اجتماع عام يحضره وفود من مختلف اديرتها يوم ١٢ ايار سنة ١٧٨٠ ، فكانت المحادثات صاخبة ، فمن جهة ، جاء هذا « القانون » بالغاء لقانون البابا .

ومن جهة اخرى ، لا يمكنهم التخلى عنه ، لانه شرط مطلق من قبل الحكومة فى نابولي. فالاباء المقيمون فى المقاطعات البابوية ارادوا الامتناع عن التصويت، وغيرهم تركوا الاجتماع قبل فرز الاصوات. واخيرا لم يبق سوى سبعة مصوتين ومن بينهم القديس الفونس وهوءلاء قبلوا القانون «بتحفظ» .لكن معنى هذه الكلمة غير واضح. فالبعض فسروه قائلين : اننا لا نقبل قانون الحكومة الا فى البنود التي لا تتعارض مع قانون البابا . وغيرهم قالوا : ان بامكاننا الرجوع الى الملك ثانية .

فى هذه الاثناء اقصي عن منصبهما المستشاران العامان الذان كانا لواب كل التدابير المتخذة الى الان. وعلى اثر ذلك تركا الرهبنة . وان احدهما هو الاب سيمينو صار اسقفا فيما بعد. وقد توفي فى باكاني، وكان محسنا كبيرا الى الرهبنة .

طلب الاباء المقيمون في المقاطعات البابوية توجيهات الكرسى الرسولي لمعرفة الموقف الذي ينبغي اتخاذه. وبعد مشاورات دامت سنة واحدة كان جواب الكرسي الرسولي ان على الاباء الرومان ان يتبعوا القانون الذي وافق عليه البابا بنديكتوس الرابع عشر وبما ان الاباء المقيمين فى مملكة نابولي تركوا هذا القانون ، فلا يمكن بعد اعتبارهم اعضاء فى الجمعية .وفى القرار الذي صدر يوم ٤ تموز سنة ١٧٨٣ اقيم الاب دي باولا رئيسا عاما للرهبان المخلصيين . وكان الى ذلك الحين يحمل لقب « مشرف » ، استقبل الاباء المتواجدون في مملكة نابولي الوضع الجديد بتأسف ، لانهم بفقدهم العضوية فى الرهبنة فقدوا ايضا الامتيازات والاعفاءات التي نالتها الرهبنة للقيام بحملاتها الروحية ، لذلك انقطع تكليف الاباء بالمواعظ وتوقف عمل الرسالات الى

حين . لكن شهرة المؤسس القديس التي ظلت قائمة في روما ، استعادت تلك الامتيازات في السنة عينها ، ونشطت حركة الاباء الرسولية ثانية .

غير ان جرح الانقسام ظل مفتوحا ومؤلما لجماعة نابولي ؛ هــذا «الفرع غير المعترف به» .فنرى الكثيرين منهم يطلبون التحول الــى المقاطعات البابوية، لابل ان مدير الطلبة فر اليها مع ١٢ طالبا. وبذلك تشوه وضع التطوع فى الرهبنة، لان فترة الابتداء، منذ سنوات عديدة قبل الانقسام، كان يقضيها الطلبة في دير شيفيللي. ثم كــان العجز المالي يزيد فى الطين بلــه .

لقد سممت هذه الاحداث الاليمة السنوات الاخيرة من حيــاة القديس الفونس. ولم يعد بامكانه تغيير شيء من هذه الاوضــاع القاسية. فلا روما، ولانابولي توافقان على تبديل شيء فى القانــون؛ رغم كل الجهود التي بذلها القديــس .

نذكر من سنوات الانقسام هذه ان الاب دي باولا نقل سنة ١٧٨٤ الرئاسة العامة الى روما فى كنيسة القديس جوليانو (التي هدمت بعد ذلــك سنة ١٨٧٣). وفي سنة ١٧٨٤ عينها طلب سائحان الدخول الى ديــر الابتداء، ولم يلقيا اذنا صاغية من احد. وفى كل سنة كان ياتــي طلاب جدد . اما هذه الظاهرة فكانت تعزى قلب الفونس وتقويه ، اذ كان ذينك السائحين نمساويين . فكان الفونس بفكره الثاقب يــرى ان الرهبنة ستنتشر بعد وفاته فى مناطق اوربا الشمالية .

هذا كان امل القديس للمستقبل . ولكن لدى وفاته سنة ١٧٨٧ كان بنظر القانون قد اقصي عن رهبنته بالذات، وكانت تضم حينذاك حوالي ١٠٠ راهب مخلصي . ولكنهم منقسمون الى جماعتين ليس بينهما روابط رسميــة عامــة .

٤ ـ تحقيق الاتحاد :

خلال عشرة سنوات مضت كل واحدة من الجماعتين المنفصلتين فى الرهبنة تتبع مصيرها الخاص . وفي جماعة نابولي حدث شق جديد جعل الانقسام اشد وطأة .

منذ سنة ١٧٦٢ كان للاباء بيت فى جزيرة صقلية (فى مدينة جرجنتي) يراسه الاب بلاسوتشي . وكانت صقلية جزءا من مملكة نابولي. ولما جرى الانفصال سنة ١٧٨٣ كانت جماعة جرجنتي تابعة بالضروة الى فرع نابولي. ولكن، دون الخروج عن سلطة الرئيس الاعلى المقيم في باكاني ، كان الاب بلاسوتشي وزملاؤه يتبعون قانون البابا بنديتوس الرابع عشر .وفى سنة ١٧٨٥ طولبوا بقبول « قانون» نابولي وبأعلانه في الرهبنة . في بادىء الامر رفضوا الانصياع لهذا الامر ، ولكن بعدما اكد لهم الاب فيلاني ان القانون الجديد لا يتعارض مع القانون القديم، لان القسم له قوة النذور السابقة، ام يبد بلاسوتشي اي اعتراض ، ولعله تصرف بهذا الشكل احتراما لمشاعر القديس الفونس . وعلى كل حال ، ان بلاسوتشي لم يرضخ طويلا بل الى حين وفاة القديس. وغداة وفاته (١٧٨٧) قطع كل العلاقات مع الاديرة الاخرى المتواجدة في المملكة .

فى سنة ١٧٨٧ اقيم دير اخر في شياكا ، وانضم الى دير جرجنتي ليختار بلاسوتشي رئيسا لاديرة صقلية . ما هذه الانقسامات الا تناقض صارخ . وليست الغاية منها الا البرهان على ان الاباء متمسكون بالامانة للقانون الذي وافق عليه البابا بنديكتوس ١٤ ، والخوف من الغاء الرهبنة وتحطيم عمل الرسالات هو الذي حدا بالاباء فى نابولي ومن ضمنهم القديس الفونس ، الى قبول القانون الجديد « بتحفظ » .

في هذا الوضع غير المرغوب فيه ، لم يجد الاباء انفسهم مغلوبين على امرهم . فقد بداوا شيئا فشيئا بعقد علاقات فيما بينهم . كانت مدينة بينيفنتو ، نظرا لموقعها الجغرافي ، ملائمة للقاءات ، في موسم ١٧٨٦ وسنة ١٧٨٧ جرت فيها اجتماعات بين ممثلي فرعي الرهبنة ، فكان الاتفاق النسبي على المشاركة بالصلوات من اجل الموتى ، وتبادل الاشخاص للقيام بالرسالات يشكل خطوة لا باس بها على طريق التقارب وان كان على نطاق غير رسمي .

ان وفاة القديس الفونس الذي كان يحترمه الجميع كمؤسس واب، جعلتهم يشعرون شعورا مؤلما بكونهم جميعا اعضاء فى عائلة واحدة شققتها ظروف الزمان . وكانوا جميعا يأملون بالغاء القانون الجديد، لانه العقبة الوحيدة فى طريق الاتحاد .

وقد جرى هذا الالغاء بطريقة بعيدة عن كل التوقعات، وذلك بقرار ملكي مستوحي من نزعة علمانية . ففي شهر ايلول سنة ١٧٨٨ منع الملك فرديناند الرابع جميع رهبان المملكة من ان يكون لهم علاقات مع رؤساء اجانب ، او اية رعاية تشملهم بها مجالس عامة تعقد خارج البلد وان عليهم ، بامر من الملك ، ان يتمسكوا فقط بالقوانين التي قبلوها حين ابرازهم النذور ويلتزموا بها حرفيا .

اتخذ الاب بلاسوتشى المقطع الاخير من القرار فرصة مؤاتية ليوجه الى الملك طلبا يقول فيه ان الرهبان المخلصيين المقيمين في صقلية ، قد فرض عليهم مؤخرا قانون جديد يثقل التزاماتهم ، لان النذور البسيطة سابقا استبدلت فيه باداء القسم ، والحنث بالقسم يشكل خطيئة اثقل من التجاوز على نذر بسيط ، لذلك لا يجرؤ الراغبون الى الدخول فى رهبنة لعرضهم الى اقتراف خطيئة ثقيلة ، فقدم بلاسوتشى التماسا الى الملك

ليسمح لاعضاء رهبنته بالتمسك بالقرار الملكي الجديد القائل : ان على الرهبان ان يتبعوا القانون الذي قبلوه لدى ابراز النذور ».

لعل مستشاري الملك لم يفهموا بتاتا حجة الاب بلاسوتشى ، فاجابوا في ١٧ نيسان سنة ١٧٩٠ نقلا عن جلالته« ان على الديرين الكائنين في صقلية ان يسيرا حسب القرار الصادر في ٢ ايلول سنة ١٧٨٨. وهكذا سمحوا رسميا ، من حيث لا يدرون ، بالعودة الى القانون الذي وافق عليه البابا ».

لما سمع الاباء فى الاديرة الاخرى ما جرى ، عجلوا بتقديم طلب الى الملك ، على النحو الذي فعله زملاؤهم فى صقلية. والمنطق فرض على الحكومة أن ترد عليهم بنفس الجواب. كما أن ظهور حركات ثورية فى البلد جعل الحكومة تميل الى موقف اللين واللطف . لذا اجاب المركيز دي ماركو في يوم ٩ تشرين الاول سنة ١٧٩٠ للاب فيلاني قائلا :يجب على جميع رهبان المخلص الاقدس ، عملا بالقرار الصادر سنة ١٧٨٨ ، ان يتبعوا القانون الذي بموجبه ابرزوا نذورهم ».

فالان، وقد الغى القانون الحكومي، لم يبقى اذن سبب للانفصال . لذلك سمح البابا بيوس السادس بدعوة الى مجمع عام لتحقيق الاتحاد. لكن قرارا ملكيا منع عقده خارج المملكة. فعقد المجمع فى باكاني يوم ١ اذار سنة ١٧٩٣. فاختار المجتمعون الاربعة والاربعون الاب بطرس بولس بلاسوتشي رئيسا اعلى للرهبنة كلها ، لان الاب فيلاني الذي كان رئيسا لفرع الرهبنة الكائن فى نابولي بعد وفاة القديس الفونس، كان قد توفي قبل فترة وجيزة. كما ان الاب دي باولا قدم استقالته. كانت الرهبنة ، الملتئمة من جديد ، تضم في ذلك الحين ١٨٠ عضوا موزعين على ١٧ديرا، يضاف اليها الدير الذي اقيم فى فرصوفيا، ولم يكن ممثلا فى المجمع لان وضعه القانوني ما كان واضحا بعد .

٥ ـ انتشار عبر جبال الالب :

بعدما استعادت الرهبنة وحدتها فى المجمع الذي عقد سنة ١٧٩٣ ، لم تحظ باوضاع مستقرة . فالثورة الفرنسية كانت تهز اوربا ، وراحت جيوشها تغزو تدريجيا ضفة نهر الراين اليسرى، وبلجيكا وهولندا، وفى سنة ١٧٩٦ احتلت عساكرها ايطاليا. واستولت على روما سنة ١٧٩٨ واخذت البابا الى المنفى. وفى شهر كانون الثاني سنة ١٧٩٩ دخلت نابولي .

اضطر الاباء المقيمون فى دير غوبيو وسبيلو الى الفرار امام الجيش الجمهوري، واغلق دير سان جوليانو الكائن في روما. وفى فروسينونة نهب الدير واحرقت الوثائق المحفوظة فيه.

لما اقتربت الجيوش الفرنسية من مملكة نابولي ، عزل الاب بلاسوتشي عن منصبه كرئيس عام للرهبنة، بامر من الملك، وفرضت عليه الاقامة الجبرية فى دير تابع للرهبان الكاملدوليين في فيكو ـ اكوينسه بالقرب من سورنتو. فقد اتهم بميول معادية للبلاط. ثم اطلق سراحه فى شهر تشرين الثانى سنة ١٧٩٩ ببرقية ملكية بعد ثبوت براءته . بالاضافة الى الاضطرابات الطارئة من الخارج ، عانت الرهبنة المحن من الداخل . فان فئة من الرهبان لم يقبلوا بالاتحاد الذي تم سنة ١٧٩٣ الا مرغمين باصوات الاكثرية. وكان على رأسهم الاب دي باولا الرئيس الاعلى سابقه، والذي حاول سنة ١٧٩٧ لدى الدوائر الرومانية الحصول على استقلال اوسع للاديرة الكائنة في المقاطعات البابوية. واراد ضمها فى اقليم يديره بلقب نائب اقليمي ينعم بسلطات واسعة. وقد نجح فى الحصول من الكرسي الرسولي على براءات تساهم فى خططه الانفصالية، لكن هذه الترخيصات ستلغى مستقبلا .

بعلما اعيد الاب دي بلولا الى رشده، حاول سنة ۱۸۰۷ اثــارة انشقــاق جديد بانشائه رهبنة تحت اسم قلب يســوع وقلب مريـــم الاقدسين، هدفها القيام بالرسالات والتعليم. لكن مشروعه باء بالفشل.

وسط هذه الاحداث المتلاحقة كادت الرهبنة تنسى ان نمســـاويين اثنين انضما اليها. لكن ذكراهما لم تغب مطلقا، لان هذين العضويـــن سيطبعان مستقبل الرهبنة بطابعهما، وهما القديس كليمنــس ماريــا هوفباور والاب تداوس هوبل .

في شهر تشرين الاول سنة ۱۷۸٥ عبر هذان الاخوان جبال الالب للمرة الثانية ، وذهبا لتأسيس دير فى فيينــا . وبعد سنة ظهر بجــلاء ان السياســة المعادية للرهبان التي اتبعها الملك يوسف الثاني لم تعط مجالا للامل باقامة دير فى النمســـا .

حينئذ شــرع الاب هوفباور يفكر في روسيا البيضاء ، حيث كانت الامبراطورة كاترينا تستقبل الكهنة الاجانب لخدمة الكاثوليك من الطقس اللاتيني الذين اضحوا من رعاياها بعد اول اقتسام لبولونيا سنة ۱۷۷۲ فسار مع رفيقه على طريق فرصوفيا بغية تقديم ذاتهما للعمــــل الرعائي في روسيا. وهناك فى فرصوفيا التمس منه المشرفــون على الاخويـــة الالمانية فى كنيسة القديس بنو للقيام بالخدمات الدينية للجالية الالمانيــة فى العاصمة البولونية ، والاهتمام ايضا بالمدرسة الملحقــة بكنيســـتهم . فكانت هذه الخدمة التي تعهد بها بصورة مؤقتة، مناسبة لتأسيس اول دير كان خلال عشر سنوات (۱۷۸۷ ــ ۱۸۰۸) مصدر نشاط رســـولي مكثف ومركز تطوع في الرهبنة وانتشــار لها . فمنذ ۱۷۸۷ بدأ قبـــول المبتدئين فى دير القديس بنو . وفى سنة ۱۷۸۸ اعطى الاب هوفباور لقب نائب عام للرهبنة فى عبر جبال الالب، مع سلطات واسعة النطاق . امــا الرهبنة فما زالت فى وضع الانفصــــال، لان هذا التعيين صدر من الاب

دي باولا الرئيس الاعلى للرهبنة فى المقاطعات البابوية. ولكن بعد الاتحاد التي تم سنة ١٧٩٣ نال هوفباور التثبيت في منصبه من قبل الاب بلاسوتشي .

منذ سنة ١٧٩٥ اسس النائب العام ديرا فى مدينة ميتاو ـ (روسيا البيضاء ، لكن الدير لم يستمر الا لسنوات معدودة ، فاستعيض عنه بديرين جديدين فى ضواحي فرصوفيا، الواحد انشيء فى رادزيمين (١٧٩٨) والاخر في لوتكاوكا (١٨٠٣) . غير ان دسائس المفكرين الاحرار ضد القديس بنو جعلت الوضع متقلبا فى بولونية وكانت مدعاة للاقامة خارج هذا البلد .

لذا حول الاب هوفباور انظاره الى البقاع الكاثوليكية فى المانيا وسوسرا. وفى سنة ١٨٠٢ تمكن من تاسيس جماعة صغيرة بمدينة يستن في ابرشية كونستانس (سويسرا) ، واخرى سنة ١٨٠٥ بمدينة تريبرخ فى الغابة السوداء (المانيا) .

وفي هذه الحقبة كانت اوربا برمتها متشربة في روح العلمنة الذي عرقل هذين الديرين عن التطور السليم. فدير يستن حيث كان الاب باسرا رئيسا ، اخلي سنة ١٨٠٥ . فلجأ الرهبان الى مدينة بابنهاوزن ، وهناك لم يتمكنوا من قضاء سنة ١٨٠٦، لان هذه المقاطعة الصغيرة ادمجت في بافاريا التي كان يديرها مونتجيلاس. وهذا قام فورا بطرد المخلصيين. بعد ذلك وجد الاب باسارا وجماعته ملجأ لمدة اشهر فى مدينة كوئير ، ثم في فييج لمدة تزيد على ثلاث سنوات ، الى ان ضمت جمهورية فاليز الصغيرة المستقلة الى الامبراطورية الفرنسية،وهنا شملتهم النتيجة التي لامفر منها وهي الفاء الجماعات الرهبانية. استمر الاب باسرا متنقلا من مكان الى اخر حتى سنة ١٨١٨، وحينها تمكن من تحصيل الكنيسة الشارترزوية القديمة الكائنة فى فالسانت (فريبورخ

ـ سوسرا). هذا التحصيل الذي أتاح له اخيرا تشكيل جماعة قانونية .

كما ان الاب هوفباور تـرك فرصوفيا ايضا ، لان نابليون بعد النصر الذي احرزه فى يينـا سنة ١٨٠٨ ، انتزع فرصوفيا من البروس ، وشكل امارة فرصوفيا واعاة لملك ساكسونيا ـ لكن هذه الامارة ظلت تحـت سـيطرة الجيـش الفرنسـي . كان الملـك من جانبـه متعاطفـا مـع الرهبـان ، ولكنه تحت ضغط الفرنسيين المتأثرين بالماسونية ، طـرد المخلصيين سنة ١٨٠٨، وهي سنة تشكيل الامارة. وفى رسالة وجهها نابليون الى ممثله فى بولونيا نجد ان الامبراطور كان له ضـلع فى القضية ، اذ تقول الرسالة: «قرأت باهتمام بالغ مذكرتك بشأن الرهبان الساكنين فى فرصوفيا ، ويبدو ان هـؤلاء الرهبـان ينتمون الى جماعـة اولئـك الذين طردتهم من فرنسا وايطاليا (اليسـوعيين). انني امر المسؤولين الالمان امرا لا رجوع عنه ان يطردوهم ، لقد استدعوا رهبانا منذ وقت ما ، ويحاولون الانتشار فى ارجاء فرنسا كلها. اضافة الى ذلك، امرت لافقط الغاء هذه الرهبنة ، بل وبارسال كل فرد منهم الى بلده الاصلي ويغلـق بيوتهم. اكتب لي تقرير عن النتائج» (نابليون ـ بايون في ٢٥ ايار ١٨٠٨).

مع البيت الكائن فى فرصوفيا اغلقت ايضا البيوت الاخرى المتواجدة فى بولونيا. والاباء تشتتوا. والغرباء منهم عن المنطقة اقتيدوا الى حدود بـــلادهم الام .

الاب هوفباور انسحب الى فيينا بصحبة احد رفاقه ، والاب هوبل لم يعد هناك ليسنده بمشورته واخلاصه ، كان صديقه القليم قـد توفي سنة ١٨٠٧ . وبهذا الموت استشـف النائب العام طالعا سيئا، فقـال لجماعته: «لقد تحطم الترس، ولله وحده يعلم ماذا سيحدث» .

في فيينا لا يستطيع الاب هوفباور ان يفكر ولو بتشكيل جمعيـة . هذا الامر واضح لديه منذ ٢٠ سنة. ومع ذلك قرر البقاء هناك، لانـه

يستطيع في هذا المركز الكبير ان يدير شؤون رهبانه، فبعضهم مشتتون ومنفردون، واخرون ملتمون حول الاب باسرا. في ظروف الفشل هذه جرت اعجوبة، فقد تم تاسيس دير في مكان لم يكن في الحسبان، ومنه خرج مؤسسو اديرة عديدة ستنتشر عن قريب في عشرة بلدان اوربية وفي امريكا ايضا .

بعد نابليون قام الامبراطور فرانتس الاول بمهاجمه الاب هوفباور. ان الاوامر الصادرة ضد الانظمة الرهبانية لاتكفي وحدها لتفسير هذا الانتباه الخاص الذي ابداه كبار هذا العالم الى القديس . فان ايمانه الراسخ وحبه للمسيح والكنيسة هو السبب الحقيقي لهذا الانتباه. سنة ١٨٠٩ عين رئيس اساقفة فيينا الاب هوفباور عميدا لكنيسة الايطالية ،وفي سنة ١٨١٣ مديرا روحيا لراهبات القديسة اورسولا وفي كنيسة هذا الدير شرع الاب بالقاء المواعظ، فاضحى واحدا من اكثر كهنة فيينا شهرة وتأثيرا .

كان عصر الاستشراق والعقلانية يقيم عاصمة النمسا ويقعدها. فكانت مواعظ الاب هوفباور تعطي للناس نغمة مختلفة تماما، وتجذب اليه اولئك الذين يبحثون عن حياة ايمانية صادقة. الاب دي هيلد فييناوي الاصل ، كتب في دعوى التحقيق عن سيرة القديس قائلا : «في العوائل وحتى في منبر الوعظ كان الحديث يجري دون اي اعتبار للديانة الموحاة . وكل الكلمات المعبرة عن الافكار الكاثوليكية وحتى المسيحية عموما كانت مرفوضة في المواعظ والاحاديث ؛ ولكي يفهم المرء كلمة من تلك المواعظ والاحاديث كان عليه ان يفتش عنها في القاموس . ولم يكن احد يجرؤ على ذكر الديانة المسيحية سوى الاب هوفباور وعدد اخر من الكهنة» .

اذا عن اي شيء كان يجري حديث الكهنة؟ عن موضوع ادبي غامض، او جدال حول الفلسفة .

لقد حاول البعض اسكات الكاهن المزعج، والمحاولة اعدت بعناية. فهو ينتمي الى رهبانية محذورة. فاقبل اليه الشرطة يضطرونه لترك الرهبنة او الخروج من البلد. هوذا الوضع يتأزم من جديد، فيفقد الاب كل ما حققه الى الان، لولا تدخل رئيس اساقفة فيينا لدى الامبراطور الذي امر بتأجيل تنفيذ الطرد الى حين عودته من روما حيث كان في زيارة للبابا بيوس السابع. والبابا بدوره اثنى على كليمنس ماريا على انه رسول وقديس بكل معنى الكلمة .

بعد هذا التوسط المزدوج والمهم قرر الامبراطور اعطاء الضوء الاخضر للاب هوفباور. فاستدعاه يوم ٢٩ تشرين الاول سنة ١٨١٩، واستمع الى مطاليبه وهي موافقة رسمية على رهبنته، واستخدام كنيسة ماريا ستيفن (فيينا) المفاقة حينذاك . ثم خرج القديس من لدن الامبراطور الذي وعده بتحقيق مطلبه .

لم ير القديس الموافقة الموقعة يوم ١٥ ايار سنة ١٨٢٠، لانه توفي ظهر ذلك اليوم عينه. لكن جماعة من الطلبة الذين كان مرشدهم الروحي خلوا دير ماريا ستيفن ، ومنذ تلك اللحظة اخذت الرهبنة تسير بخطى ثابتة الى الامام .

ي يوم ٣٠ ايار سنة ١٨٢٠ عين الاب باسرا نائب عام لعبر جبال الالب . ى هذا التأريخ كانت الجمعية الوحيدة المسموحة قانونيا هي جمعية نسانت فى سويسرا ، المتكونة من ١٧ كاهنا ، وشماس واحد وثلاثة هبان وستة مبتدئين. وفي فيينا كان الاب ستارك رفيق الاب وفباور ينتظر مع ١٢ راغبا قدوم النائب العام الجديد، وكان ثلاثة هبان مخلصيين يعملون فى والاخيا، وستة اخرون منتشرين فى سويسرا،

وعدد اخـــر فى بولونيـــا. وكانـــت المفاوضات قائمة لتأسيس دير في بيشنبيرغ فى الالزاس. ان هذه الاحصائية القليلة ستتيح مجالا لانتشار سريع نجتزىء منه تواريخ اهم الاديرة التي انشئت .

في دير ماريا ـ ستيفن ابرز ١٤ مبتدئا نذورهـم واتخـذ ٦ طلبـة اكاريكيين الثوب الرهباني في يوم ٢ اب ١٨٢١، ودخل ٧ مبتدئين رهبان ايضا . فمنذ سنة ١٨٢٣ ضـاق بهم المجال فى ماريا ستيفن ففتحـوا ديرا للابتداء فى واينهاوس بالقرب من فيينا، دخل فيه ١٣ مبتدئا عـام ١٨٢٤ - ١٢ ... ١٨٠ .

سنة ١٨٢٤ فتح بيت ثان للرهبان الفرنسيين فى ترواززيبي بالقرب من كولمار. (والاول كان بيت بيشنبيرغ الذي كانت المفاوضات جارية بشأنه وانتهت ايجابيا يوم ٢ اب سنة ١٨٢٠). سنة ١٨٢٥ عادت الرهبنة الى بولونيا وفتحت بيت بيوتركويتشي بالقرب من كيالتشي. سنـة ١٨٢١ دخلت الرهبنة الى ليشبونا في البرتغـال . سنة ١٨٢٦ ـ ١٨٢٧ فتحت ثلاثـة اديرة فى النمســا، واخرها، وهو دير ماوترن صار اول مدرســة كهنوتية فى ما وراء جبال الالب، وكان عدد الدارسين فيهـا عشرين طالبـا ـ سنة ١٨٢٨ اقيم دير فريبورغ فى سوسرا. منذ سنة ١٨٣٢ ـ ١٨٣٣ فتحت ثلاثة بيوت في بلجيكا وثلاثة اخرى فى النمسـا . وفى سنة ١٨٣٢ عينها عبرت الرهبنة المحيط للمرة الاولى الى امريكـا . وكان الطلب لارسال اباء الى امريكا مقدما منذ سنة ١٨٢٨ من قبـل النائب العام لابرشية سنسيناتي ، حين مروره بفيينا . لكن الاستعدادات استغرقت وقتا طويلا الى سنة ١٨٣٢ حيث تمكن ابوان وثلاثة رهبـان مـن السـفر الى الولايات المتحدة. وهناك لقي الاخوة ظروفا شاقة فى البداية. فكان عليهم ان يجابهوا الشقاء المستتب، ومقاومة البروتستانت، واخطـار التوحد، ولكن منـذ عام ١٨٣٩ انتظمت اديرة قانونيـة فى بيتسبيرغ اولا، ثم في نيويورك، وفيلادلفيا، وبوفالو وروتشتر .

فى هذه الاثناء واصلت الرهبنة انتشارها فى اوربا. سنة ١٨٣٥ دخلت
ى بلغاريا حيث أنشأت دير فى فيليبوبولي، وفى امارة مودينا حيث
سست ديرين الواحد في مودينا والاخر فى فينالي، يقيم فيهما رهبان
ن عبر جبال الالب. سنة ١٨٣٦ حطت اقدامها على ارض هولندا
حالية حيث اسست مدرسة كهنوتية فى ويتم التابعة حينذاك لبلجيكا
الحقت بهولندا سنة ١٨٣٩ على اثر مؤتمر لندن .

ان عددا من هذه الاديرة اغلقت بعد حين ، لكن الرهبنة فى عبر الالب
ن لها سنة ١٨٤١ اديرة عديدة ورهبان كثيرون كما كانت الحال
ايطاليا .

٦ ـ روح الرهبنة والتطور في النشاط :

لقد دعي القديس كليمنس، وبحق، المؤسس الثاني للرهبنة. فقد نشرها خارج ايطاليا في ظروف مختلفة تماما عن ظروف جبال سكالا. لكنه مع ذلك اهتم بعدم الانحراف عن روح القديس الفونس. فحافظ على الصيغة الداخلية للرهبنة، وعلى حياتها وروحها، وسلمها لزملائه المقيمين فى عبر جبال الالب .

وهنا نقول ان نقطة الانطلاق كانت غامضة فى البداية. فهدف الرهبنة الاول كان فى نظر القديس الفونس القيام بحملات روحية لدى النفوس المهملة. وبعد ذلك تاتي نشاطات رسولية اخرى. يزاولها الرهبان اثناء «الوقت الفارغ» بعد المواعظ، منها مثلا التعليم الديني المعطى للاولاد في سكالا . لكن الفونس كان يرفض تقديم تعليم اوسع ؛ ويرفض ايضا ان تنشغل الرهبنة بالمعاهد الكهنوتية .

اما القديس كليمنس فقد بدا نشاطه بالاقامة فى المدن الكبرى (فيينا وفرصوفيا)معتبرا ان الانفس المهملة فى تلك البلدان متواجدة فى المدينة وليس في الريف. ولم يكن لا فى النمسا ولا فى بولونيا عدد كبير جدا من الكهنة كما كان فى نابولى . وكان روح العلمنة يعيث فسادا فى المدينة اكثر مما في الريف .

حاول كليمنس القيام بحملات روحية، ثم تخلى عنها، لان اوامر الشرطة منعتها منعا باتا. وازاء هذا المنع الذي لا الغاء له استخدم القديس الكنيسة الوحدة التي كانت تحت تصرفه؛ فكان ينظم فيها

الرتب الدينية والمواعظ التي تلقى اثناء الحملات الروحية. وقد ذكر القديس فى رسائله الموجهة الى الرؤساء ان النتائج الحاصلة هــي نفس النتائج التي كانت تحرزها الحملات ، وهي : اهتداءات عديدة ، اعترافات عامة، تزاحم فى الممارسة الدينية واقتبال الاسرار .

كان في المدينة حاجات كثيرة ينبغي تلبيتها. فوافق القديـس على ان يشغل كهنة الرهبنة مركز المرشدين فى السـجون وان يتسـلموا المهام الكهنوتية فى الخورنات ، لكن هذه المهمة الاخيرة المخالفة بشكل مباشر لبنود القانون لم تنل رضى الرئاسة في باكاني التي كانت تامر مرة بعـد مرة باعادة الاباء المتشتتين الى اديرتهم وغالبا ما لم تنفذ هذه الاوامـر المكررة تارة بسبب معارضة الاساقفة الذين ما كانوا يستطيعون السـماح لمعاونيهم الرهبان ان يتركوا مراكزهم فارغة ، وطورا بسبب صعوبةالاتصال بأولئك الرهبان المتشتتين ، كما ان الاباء انفسهم ما كانوا احيانا ينصاعون لامر لايجدون مبرراً له فى واقع ظروفهم ـ لذلك احيطت باكاني علما انه، بالنظر الى الظروف القائمة، لايمكن للرهبنة ان ترفض هذا النـوع من المهـــام .

لكن الابتعاد الصارخ عن القانون كان مدرسة فرصوفيا، التي كان عدد طلابها فى وقت ما ٥٠٠ تلميذ ـ ولم تكن الدروس فيها محصورة فى المرحلة الابتدائية. اضافة الى ذلك، اخذ القديس كليمنس على عاتقـه سنة ١٨٠٠ ادارة مدرسة كهنوتية محلية، معظم طلابها مهاجرون قدمـوا الى بولونيا بحثا عن ثقافتهم الكهنوتية .

ان اعتبارات عديدة تشرح هنا لماذا صب القديس كليمنس كل اهتمامه على هذه المدرسة. اولا لانها جزء ضمني من كنيسة القديـس بنو . فلا يمكن قبول الكنيسة وفصل المدرسة عنها . ثم لان الحكومة كانت تشجع تثقيف الشباب وترعى المنشآت التعليمية. فكان القديس يعتمد

على هذا المكسب النادر ليرسخ وضع الرهبنة. وهناك اعتبار اخر لايمكننا طيه تحت النسيان. فعندما ترك القديس روما سنة ١٧٨٥ كان مجمع ينعقد في شيفيلي لاعادة النظر فى القانون الذي ايده البابا. وهذا المجمع تجاوز صلاحياته وفتح الباب للتعليم. لكن امرا موقعا من قبل مجمع الاساقفة والرهبانيات في يوم ١٤ ايلول سنة ١٧٨٧ رفض مقرراته، والقديس كليمنس لم يكن على علم بذلك. وفى سنة ١٧٩١ القى عليه الاب دي باولا مهمة انشاء مدرسة. والمجمع الذي انعقد سنة ١٧٩٣ امر بصورة جازمة ان لا ينشغل الرهبان بالشباب الغرباء عن الرهبنة .

وحين وردت رسالة من الرئيس العام الاب بلاسوتشي مؤرخة فى ١٥ شباط سنة ١٨٠٠ ، فطلع كليمنس على هذا الامر بمنع التعليم ، كان القديس امام امر واقع قد تم ولا يمكن التخلي عنه دون تعريض العمل في القديس بنو الى الهدم الشامل . وكان الاب بلاسوتشي متفهما للوضع ، لعلمه بان فرصوفيا ليست نابولي ، فترك للقديس مجال الحكم بنوع الرسالة التي يتبناها حسب وضعه الراهن كما يراه هو .

لكن الغاية من تاسيس الرهبنة، وهي القيام بحملات روحية، ظلت الشغل الشاغل للرهبان المقيمين فى عبر جبال الالب. والظروف كانت مؤاتية لذلك نوعا ما. فقاموا سنة ١٨٢٥ بالقاء المواعظ خلال الصوم الكبير. ومنذ ذلك الحين رفض الاب باسرا بقوة كل نشاط اخر . ولكن رغم هذا التحديد لمجال العمل ، كان يستجيب احيانا لطلبات اخرى اضطرارية .

الى الان ما زالت الرهبنة قريبة من بدايتها، فهل انها غيرت اهدافها، او هل انها ابتعدت عن استلهامها الاولى؟ كلا . لان القديس كليمنس «المؤسس الثاني» ، رغم المبادرات الجديدة التي جرت بتأثير منه

كان يسير على خطى القديس الفونس. ومن الثابت هنا أن القديس الفونس نفسه كان مستعدا لترك الرسالات والانطلاق الى بلدان اخرى. فالرسالات لم تكن فى الواقع سوى تطبيق مباشر ومنطقي لمبدا راسخ وهو اعلان كلام الله للنفوس المفتقرة اليه – ومنذ عهد القديس كليمنس مازال روح الرهبنة مجسما دائما انطلاقا من هذا المبدا الاول – والسؤال الذي لابد من طرحه هنا هو: هل ان رسالاتنا قائمة على الذهاب الى لقاء الانفس المهملة ؟ فأذا كانت الرسالات هي الوسيلة المفضلة لتحقيق هذا الهدف، فعلينا التمسك بها، اما اذا كانت الظروف تضطرنا الى عمل اخر . فنحن نخشى انفسنا اذا ما نصر على استخدام الوسيلة (الرسالات) وهذا الاصرار يفقدنا الغاية (وهي النفوس المهملة) .

ان هذه الاعتبارات تصلح للحياة الرسولية. لكن هل انها صالحة للحياة فى الدير، لتطبيق القانون في الحياة الجماعية، فى الفقر فى النظام اليومي ؟

فيما يخص الحياة الداخلية للرهبنة في عبر جبال الالب فى اعوامها الاولى، لنا وثيقة مهمة ، هي رسالة من الاب هوفباور الى الاب بلاسوتشي، ارسلها من فرصوفيا في الاول من تشرين الاول سنة ١٨٠٢، يرد فيها على التهم القائلة بانهم لايحفظون القانون، وبرده يستعرض الحياة التي يعيشها مع رهبانه فى بولونيا فيقول : «اننا نقيم الصلاة ثلاث مرات فى اليوم، صباحا ومساء بصورة جماعية، وبعد الظهر منفردين، كل واحد فى صومعته، ونخصص يوميا نصف ساعة للقراءة الروحية، ونعمل فحص الضمير مرتين في النهار، ونتلو سبحة الوردية، ونقوم بزيارة القربان الاقدس. ونعمل سنويا رياضة روحية لمدة عشرة ايام، وفى كل شهر نخصص نهارا للاختلاء. ونأخذ اسبوعيا درسا فى التصوف، او الليتورجيا او اللاهوت . ونجتمع يوم السبت للارشاد ونقد الذات

بشكل علني. ولبقية الامور، نعيش عيشة مشتركة فى المأكل والملبس والمسكن ، اضف اليها الاماتات الروحية الظاهرية والباطنية «كما ينص عليها القانون» .

اننا نجد في هذا الوصف كل الخطوط الكبرى الواردة فى القانون الذي وافق عليه البابا بندكتوس ١٤ ، وبحسب هذا القانون كسب الاب هوفباور تربيته الرهبانية في روما وفى شيفيلي، وحينما عبر جبال الالب للمرة الثانية استطاع ان يحمل معه نسخا منها للاديرة التي اسسها .

ومهما كان تحمسه لتطبيق القانون بحذافيره على مثال القديس كليمنس ، الا ان مشاكل عسيرة غالبا ما كانت تحول دون هذا التطبيق الاعتيادي. فالرهبنة فى فرصوفيا قليلة العدد وفى عوز شديد، وهي فى ترحال مستمر في بافاريا وسويسرا ، ولا تستقر في مكان ، والعديد من كهنتها مشتتون فى الخورنات، وغالبا ما ليس لهم صلات تربطهم برؤسائهم. سنة ١٨١٨ اخذ الوضع يستقر بعد تأسيس دير فالسانت. وهنا أيضا لايجوز لنا ان نستعظم نتائج هذه المحاولة . فالاب المسؤول لا يقيم فى البيت كالمعتاد، وثلاثة اباء يقيمون خارج الدير، واخرون يواصلون خدمتهم فى الخورنات. هذه الاوضاع استمرت الى انشاء دير فيينا، وحينها فقط وجدنا ديرا منظما تماما .

بالاضافة الى هذا كله، فان النص الاصلي للقانون الذي اتى به الاب هوفباور والذي كان دقيقا للغاية ، لم يبقى كما كان . لان ترجمة لاتينية للقانون الذي ايده البابا بندكتوس ١٤ تناقلتها الاديرة المتواجدة في عبر جبال الالب منذ بداية القرن ١٩ . وهذه النسخة كانت مترجمة بتصرف، وعليها اضافات وهوامش عديدة مقتبسة من مقررات مجمع شيفيلي، بصيغة تعليقات وشروحات، الهدف منها تغيير فحوى النص .

لذلك بعدما استلم الاب باسرا رسائل عديدة من باكاني ، تشير الى تجاوزات الاديرة الكائنة فى عبر جبال الالب، وتبدو له مطابقة تماما للقانون الذي بحوزته ، اخذ يفكر بالتحولات التي ادخلت اليه . ولكي تتضح الامور كلها، ارسل سنة ١٨٢٣ الاب سبرينفر الى باكاني ليرى القوانين والانظمة ويلاحظ عن كثب الاعراف والعادات المعمول بها فى اديرة نابولي . عاد الاب سبرينفر سنة ١٨٢٤ ومعه نسخة من النص الاصلي من القانون ونسخة من الانظمة المؤيدة. لقد وصلت هذه الوثائق الثمينة في وقتها المرغوب، لان اديرة كثيرة تم تأسيسها فى تلك السنة .

الان وقد اطمئن الاب باسرا على انه على الدرب المستقيم ، شرح بتنظيم حياة قانونية ، وذلك برسائله الدورية ، ومحاضراته ، وزياراته القانونية. كان الاب باسرا رجل صلاة واختلاء، قيضته العناية الربانية للرهبنة ليكمل عمل سلفه. القديس كلمينس كان الرائد الجريء، والمشغول الذي لا يعرف معنى التعب ، والموفق الذي لم ينل طعم الراحه. اما الاب باسرا فقد وضع التقوى والحياة الباطنية فى المقام الاول . وهذا هو روح القديس الفونس بالذات، انه الانفاع دون ملل، الى النفوس المهملة ، والعودة المنتظمة الى الدير للاختلاء والتأمل ، حسب شعار الفونس القائل: «رجل اختلاء داخل الدير، ورسول فى الخارج».

٧ ـ انشاء الاقاليم :

تعين الاب هو فباور نائبا عاما «لكل الحالات الممكنة» . ومعنى هذا ان له سلطة غير محدودة تقريبا. لما صار الاب باسرا نائبا عاما سنة ١٨٢٠ كانت تسميته مفصلة اكثر، ولكن دون ان تحد شيئا من امتيازات الرئيس الواسعة فى ما وراء الالب. فقد منحت له، اضافة الى ادارة الرهبنة الكائنة خلف جبال الالب، صلاحية قبول المبتدئين، واختيار مسؤولي البيوت، وقبول ابراز النذور، وتأسيس اديرة جديدة، واصدار رسائل شهادة بحق طلاب كهنوت الى رؤساء الكنيسة المحليين حسب امتيازات الرهبنة . وكل هذا كان خاضعا للتأبيد والتثبيت من قبل الرئيس العام. ولكن رغم هذه الفقرة الاخيرة، فهذه السلطات واسعة، ولاحاجة فيها، في اغلب الحالات، الى استشارة باكاني. انها ملائمة جدا لحسن سير الامور، ولكنها سببت عدم تمركز فى الادارة، اضحى خطيرا على وحدة الرهبنة، فى الوقت الذي كانت ميزات القديس كليمنس هوفباور الشخصية وميزات الاب الوقور باسرا تزيد من تأثيرهما بحيث كان شعور الرهبان بالحاجة الى استشارة رئيس اعلى منهما ضعيفا .

فى الواقع كان هناك فئتان مختلفتان، لهما من التمايز ما يهددهما بالابتعاد الواحدة عن الاخرى. فهذه رسائل واردة من باكاني تؤكد على ان الرهبان في نابولي متعاطفون مع زملائهم الذين هم فى الشمال. لكن الاسفار طويلة وصعبة . قبل سنة ١٨٤٠ لم يقم ممثل للرئيس العام بزيارة الاديرة الكائنة وراء الالب . والظروف السياسية بدورها

مع ما فيها من اوامر وقرارات متعددة، ما كانت تسهل العلاقات بين الرهبان. فما العمل للحفاظ على الوحدة المرغوبة جدا للرهبنة؟ ان الاخوة عبر جبال الالب لم يستطيعوا حضور المجمع العام الذي عقد سنة ١٨٢٤ لان عددهم كان قليلا. فطلبوا السماح بتمثيلهم من قبل موفودين مختارين من الاديرة الايطالية، لكن طلبهم رفض، لان القانون لاينص على وفد كهذا. وفى المجمع الذي عقد سنة ١٨٣٢ ارسلوا ستة ممثلين لاديرة النمسا والبرتغال وبلجيكا. لكن اللقاء كان خيبة أمل لرهبان الشمال، الذين قوبلوا بحرارة ومودة، اما الزملاء من اهالي نابولي فلم يكونوا مستعدين بعد لتجابه عام كذا دولي. فى ذلك الوقت، والحق يقال، كان الاخوة المقيمون فى عبر جبال الالب قليلي العدد والخبرة ايضا، يتلمسون طريقهم بجهد كبير، في حين ان الاعمال الرسولية والحياة الجماعية للاخوة الساكنين فى مملكة نابولي كانت منتظمة منذ وقت طويل. لكن انتشار الرهبنة فى بلدان الشمال منذ سنة ١٨٣٢ كان واسعا بحيث اقتضى تنظيمها من جديد. فالوصول الى البرتغال وبولونيا والى امريكا خاصة صعب جدا، حتى على النائب العام الذي كان مقره فى فيينا. لذلك جرى اقتراح تغييرين مهمين هما: تقسيم الرهبنة الى اقاليم، واقامة الرئيس الاعلى في روما بدلا عن باكاني. والاقاليم يعطى لها استقلال واسع، بادارة رئيس اقليم يعالج المشاكل عن قرب ويجد حلا لها. اما وحدة الرهبنة فتصان من قبل الرئيس العام ومجلس شورى يمثل كل البلدان.

لم يكن الاباء النابوليين مستعدين لقبول هذه المقترحات، لان باكاني في نظرهم مدينة مقدسة، مقدسة بحياة وموت وضريح المؤسس. اضف الى ذلك فكرة اصحاب الحق الملكي الحية حتى ذلك الحين فى اوساط مسؤولي مملكة نابولي المعتقدين بان القديس الفونس اسس رهبنة لصالح مملكة نابولي، فعلى رئيسها اذن ان يقيم فيها دائما.

اما الرهبان من وراء جبال الالب فقد رأوا من جهتهم ان الوقت قد حان ليتركوا جانبا تذبذب رهبان باكاني ويتوجهوا مباشرة الى الكرسي الرسولي. اثناء تطويب الفونس سنة ١٨٣٩، مارس الاب باسرأ الحاحا شديدا على ريبولي الاب العام، الذي كان هو الاخر في روما لحضور حفلة التطويب، ولكن دون جدوى. غير ان الاب العام اكد له انه لن ينزعج من المفاوضات لدى الكرسي الرسولي .

في هذه الاثناء قدمت مذكرة الى مجمع الاساقفة ورؤساء الرهبانيات . وفي نهاية سنة ١٨٤٠ قام ممثلون عن الشمال والجنوب يدافعون عن وجهة نظرهم لدى المجمع المقدس . فكانت النتيجة لصالح رهبان الشمال. وفي اليوم الثاني من شهر تموز سنة ١٨٤١ صدر قرار من البابا غريغوريوس السادس عشر بتقسيم الرهبنة الى ستة اقاليم هي: روما، نابولي، صقلية، النمسا، بلجيكا وسوسرا، ولكن بحيث يكون للاقاليم الايطالية الثلاثة رؤساء اقاليم يخضعون مباشرة للاب العام، في حين ان الاقاليم الثلاثة الاخرى يديرها رئيس اقليم خاضع لسلطة النائب العام. مع بقاء الرئاسة العامة في باكاني .

لم يكن هذا الحل مرضيا ولا صائبا . لا قولا ولا عملا . ففي نابولي كان الرهبان يقاومون كل محاولة لنقل الرئاسة العامة الى روما .

بعد عشر سنوات لم يتحقق اي تقدم، رغم استمرار المفاوضات دون انقطاع – لكن قرارا كان يتبلور يذكرنا بالانقسام الاول المؤلم الذي جرى في الرهبنة – ففي السادس من ايلول سنة ١٨٥٣ صدر قرار خاص من البابا بيوس التاسع يقضي بفصل تام بين فرعي الرهبنة. وبينما كانت اديرة نابولي تنتظر التئام مجمع عام، اخضعت لسلطة زائر رسولي هو الكردنال كوزانزا من كابوا. الذي اسندت اليه حقوق الرئيس العام كلها – اما الاديرة الاخرى فقد انيطت مباشرة بسلطة الكرسي الرسولي،

وانتزعت تماما من سلطة رئيس باكالي الاعلى. وفي اليوم الثامن من شهر تشرين الاول سنة ١٨٥٣ صدر قرار اخر جديد يسمح للاب سميتانا خلف الاب باسرا بفتح دير في روما كمقر للرئيس العام وبدعوة الى عقد مجمع عام .

في شهر اذار سنة ١٨٥٥ اقام الاب سميتانا في «فيلا كاسرتا» وهي بناية كبيرة ملائمة لتكون ديرا للرهبان. ونظرا لوقوعها على طريق ميرولانا النائية، فهي بمنجى في ذلك الحين عن التوسع الروماني . على الفور اتخذ التدابير اللازمة لعقد المجمع . وقد تم عقده في اليوم السادس والعشرين من شهر نيسان سنة ١٨٥٥. في ذلك الوقت كانت الرهبنة من وراء جبال الالب» وقد صارت الفرع «الروماني» تضم سبعة اقاليم، كان لها ممثلون في المجمع، وهي الاقاليم الثلاثة الاصلية اعني النمسا وبلجيكا وسوسرا (١٨٤١) اضيف اليها اقليم امريكا (١٨٥٠) والمانيا (١٨٥٢) وهولندا ـ انكلترا «الذي تأسس سنة ١٨٥٤، ولو ان تأسيسه الرسمي لم يتم الا في شهر تشرين الثاني سنة ١٨٥٥» . في ٢٧ ايار سنة ١٨٥٤ وضعت الاديرة الكائنة في المقاطعة البابوية تحت ادارة النائب العام باسم الاقليم الروماني .

انتخب المجمع الاب نيكولاس ماورون رئيسا اعلى للرهبنة . بعد هذا الانتخاب بدأ العمل لتكييف القوانين المسنونة سنة ١٧٦٤. واستغرق اكثر من شهرين. وكان يقتضي لنظام الاقليم تحديدات عديدة، وكذلك للعمل الرسولي ايضا ، نظرا لاختلاف العقليات بين سكان الشمال والجنوب . كما جرى النظر في البنود الخاصة بالمهام التي يرفضها القانون بحيث تم التوسع في مضمونها، فصار مسموحا للرهبان القيام بمهمة المعرف في المؤسسات التعليمية ، وتنظيم رياضات روحية للراهبات متى

ما كان، والقاء مواعظ في الصوم بشروط محدودة، وتقديم الارشـــاد للســــــجناء .

ان رسوخ الرهبنة من الخارج، في عهد الاب مـاورون الجليـــل، يتضح من ان اكثر من عشرين ديرا جديدا انشئت خلال السنوات العشر الاولى بعد انتخابه. ورسوخ الرهبنة من الداخل لم يكن اقل شأنا ـ فقد استمرت رئاسته قرابة ٤٠ سنة. وترك لنا مجموعة ضخمة من الرسائل الدورية نجد فيها مرونته الحازمة مقرونة بثبات لايلين صيانة للقانـون وحفاظـا عليـــه .

سنة ١٨٥٨ اوشك احد قراراته ان يسبب انقساما جديدا . كان خمسة من الاباء الامريكان، الذين دخلوا الرهبنــة نحـو سنة ١٨٥٠، يقومون بحملات روحية موفقة باللغة الانكليزية. وقد احرزوا اهتداءات عديدة وفكروا انهم، لكي يضمنوا نجاحهم في رسالتهم، ينبغي لهم العمل بطريقة «امريكية» اكثر. وكان المخلصيون يمارسون نشاطهم بلغـات اخرى. ومنها الالمانية خاصة، فكان الناس يعتبرونهم اجانب. وكان الاباء الخمسة يتمنون انشاء دير يتكلم الانكليزية، ويكون الاباء فيه وكانهـم «امريكان بالولادة». ولما لم يتوصلوا الى تحصيل موافقة الاب ماورون، اعتقدوا ان الرئاسة لم تفهم موقفهم، فاوفدوا رئيسهم الاب هيكر الـى روما ، دون سماح مسبق بهذا السفر . فاعتبر الرئيس الاعلى هـذا التصرف عملا غليظا منافيا للطاعة، فطرد الاب هيكر من الرهبنــة. والقضية وصلت امام مجمع الاساقفة ورؤساء الرهبنات الذي قرر يوم ٦ اذار سنة ١٨٥٨ اعفاء الاباء الامريكان الخمسة من نذورهم ، وجعلهم تحت ادارة الرؤساء المحليين ليواصلوا رسالتهم. سنة ١٨٥٩ اسس الاب هيكر في نيويورك رهبنة البولسيين التي تعيش اعضاءها على شـكل جماعات كهنوتية (اوراتورية) بدون نذور رهبانية ، ولهم نظام مستوحى

من تعاليم القديس الفونس. لم تنقطع العلاقات الودية بين المخلصين والبولسيين، لان فصل الاب هيكر لم يكن في نظرهم سوى سوء فهم. والقرار الذي اصدره الكرسي الرسولي اعترف بجدوى خطط الاب هيكر ، كما وايد شرعية قرار الاب ماورون الذي ظهر انه الحارس اليقظ على الطاعة الرهبانية .

وعلى كل حال، فهذه الحادثة لم يكن لها نتائج مضرة لوحدة الرهبنة وتقدمها. فالدعوات الرهبانية لم تنقص بين الناطقين بالانكليزية. سنة ١٨٩ كان ثلاثة ارباع المخلصين في اقليم امريكا من مواليد امريكا .

(٨) اتحـــاد تام

في هذه الاثناء كان فرع نابولي يتتبع مصيره. فالكردنال كوزانزا لم يتاخر عن القيام بمهمته كزائر رسولي، فدعى منذ شهر ايار سنة ١٨٥٤ الى عقد مجمع عام ، التام فى باكاني برئاسته، وانتخب رئيسا اعلى الاب يوسف لوردي ، وهو راهب تميز بفضيلته وعلمه ، لكنه معتل الصحة. وها هو الان امام مهمة ثقيلة، هي بالاخص مجابهة دواعي سلطة الملك. لما سمع الملك بقرار فصل الرهبنة الى قسمين قال مستبشرا: «يالحسن الحظ، هذا ما كنت اتمناه منذ زمن طويل». وكان يتصور نفسه اكثر فاكثر مدعوا لان يكون وصيا على الرهبنة. وكان بعض الاخوة العصاة يستفيدون من هذا الوضع لنيل ماربهم. فقد كانوا يطلبون تدخل السلطة المدنية فى امور لاتخص الا النظام الداخل للرهبنة. وكان تصرفهم هذا يناقض كل منطق رهبانسي .

توفي الاب لوردى في يوم ١٥ كانون الاول سنة ١٨٥٤ ، بعد ستة اشهر فقط من تسلمه مهام الرئاسة. فهل ان صدامة السلطة المدنية قصرت ايامه ؟. فى يوم ٤ اذار من السنة التالية انتخب مجمع عام الاب سيليستان بيروتي رئيسا للرهبنة. ولمدة سنوات نشط رهبانه لعمل رسولي زاخر. فى سنة ١٨٥٧ - ١٨٥٨ قاموا بسبعين حملة روحية. سنة ١٨٥٩ فكروا فيَ تنظيم رسالة فى كولومبيا. لكن المحاولة فشلت سنة ١٨٦١ . مابين سنة ١٨٥٥ وسنة ١٨٦٠ اسسوا خمسة اديرة جديدة. لكن الثورة اندلعت فنزل غريبالدي الى صقلية. وفى يوم ٢١ تشرين الاول سنة ١٨٦٠ سلم استفتاء شعبي مملكة نابولي الى يدي فكتور

عمانوئيل ملك ايطاليا الجديد. والمخلصيون طردوا من اديرتهم الكائنة في بالرمو وسياكا وجيرجينتي. في ١٧ تموز سنة ١٨٦٦ صدر قرار يقضي باغلاق كل البيوت الرهبانية. ثم استطاع الرهبان الحصول على السماح لراهبين او ثلاثة ليحافظوا على البيوت الكائنة في باكاني وسيورانسي وكابوسيلة. اما الاب بيروتي فقد اقام في بيت خاص في نابولي.

ان هذا الوضع الشاق كان يشدد لدى اخوة كثيرين الرغبة في ان يروا تقسيم الرهبنة منتهيا. فمنذ سنة ١٨٦١ وردت رسائل من نابولي الى الاب ماورون، يلتمس فيها الرهبان منه ان يكونوا خاضعين له. وقد قبل منهم ماورون عشرين كاهنا وطالبا وارسلهم الى اقاليم مختلفة. وفي روما لم تنقطع الرغبة بهذا الشان. فالمجمع العام المعقود سنة ١٨٥٥ اضاف الى اعماله هذا الاعلان الصريح: «يتمنى المجتمعون قاطبة، ان يتحد اباء نابولي معنا، وبما انه لا يستطيع، لا المجمع العام، ولا الاب المسؤول الاعلى الجليل، المساهمة بشيء لتحقيق هذه الرغبة، نظرا الى الظروف الحالية، فلنا جميع الامل والثقة في ان نرى، في الازمنة المقبلة، الاباء النابوليين خاضعين تماما للشروط المحددة من قبل الكرسي الرسولي، وبعد ازالة الموانع الخارجية، ان يشكلوا معنا جسدا واحدا». لقد وضع الغاء البيوت الرهبانية العنيف من مملكة نابولي حدا لكل ما تبقى من تردد بهذا الخصوص. في ٦ ايلول سنة ١٨٦٩ اجرى الاب بيروتي برفقة الابوين بدوتشي وكودزي لقاءات عديدة مع الاب ماورون ومستشاريه. بحثوا فيها شروط الاتحاد. ثم احيلت نتائج المحادثات الى مجمع الاساقفة ورؤساء الرهبنات، الذي ايد الاتفاق في يوم ١٧ ايلول. وكان على الوجه التالي: تشكل اديرة المملكة من الان فصاعدا اقليمين هما نابولي وصقلية. يبقى الاب بيروتي، طيلة العمر، رئيسا

لهذين الاقليمين بلقب مسؤول اعلى . «مع احتفاظ المسؤول الاعلى عن الرهبنة كلها بسلطته وحقوقه». يستطيع الاعضاء الناذرون من الابناء والاخوة الاحتفاظ بالعادات المرعية فى اقليم نابولي بخصوص الفقر الرهباني لها لما ليسوا مقيمين فى اقاليم اخرى. وعلى المقبولين في المستقبل ان يتمسكوا بالانظمة السائدة فى الرهبنة ككل .

في يوم ٢٦ ايلول سنة١٨٦٩ بعث الاب ماورون رسالة دورية تزف البشرى الى الرهبنة كلها، بأنها تتمتع من جديد بوحدتها .

(٩) الأزمنة العصرية

ان الحقبة المئوية الاخيرة اي من سنة ١٨٧٠ والى ١٩٧٠ كانت للكنيسة بأسرها مرحلة مليئة بالحركة – فالمقاطعات البابوية لم يبق لها وجود. واوربا تهب عليها ريح التحرر في المذاهب والاراء، وفى بلدان عديدة يقاوم الايمان، ويقاد اساقفة الى السجون، ورهبان يطردون. وفي روسيا والصين تجاهد الشيوعية لعزل المسيحيين فى كنائس محلية. وحربان عالميتان تضرمان النار فى العالم.

وهذه الحقبة ايضا ترى انعقاد مجمعين فى الفاتيكان (١٨٧٠ و ١٩٦٤). الاول توقف بسبب الحرب، واغلق أبوابه بعد فترة وجيزة. لكن الثاني يشير بجلاء الى زخم الكنيسة وسط الدوامة الحالية، والى امكاناتها للتكييف حسب حاجات العالم المعاصر. والمجمع دون ان يضحي بشيء من تعليمها الموحى، ودون الاساءة الى تقاليدها، يميز بين ما هو جوهري وما هو مرحلي في الزمن. ذلك ان عالمنا المعاصر يحق له ان يعيش جوهر الايمان بعقليته الخاصة، تماما كما كانت الحال فى حقبات ماضية فى التاريخ.

الان وقد انتشرت رهبنة القديس الفونس في العالم كله، فهي تعلن كلام المسيح للنفوس المهملة، وسط العالم المعاصر. ان مثالها لم يفقد شيئا من تجاوبه مع تطلعات العصر، هذا ما يشهد له انتشارها العجيب خلال المئة سنة الاخيرة. كما ان روحها للتكيف لم ينقص هو الاخر، والدليل على ذلك الهمة التي يبديها الرهبان فى مختلف الاقاليم للذهاب الى بلدان الرسالات والقيام بالاعمال التي تفرض نفسها فيها.

ولكي يكون لنا فكرة عن وضع رهبنة المخلصيين الحالي، نلقي نظرة على انتشارها الجغرافي، وعلى رسالتها، وحياتها الرهبانية.

ا ـ الانتشار الجغرافي

لايمكننا تتبع التوسع الجغرافي بالتفصيل ، لان تأريخ كل اقليم على حدة يقتضي كتابا خاصا به. ولكن يمكننا القاء نظرة علمة على تشكيل الاقاليم. فالكثير منها ازدحمت بالرهبان فجعلت اثنين. كما جرى ذلك للاقليم الامريكي سنة ١٨٧٥، فقسم الى اقليمين هما بلتيمور وسنت لويس. كما ان الاقليم الانكليزي انفصل عن اقليم هولندا سنة ١٨٦٥. واقليم ارلندا اقتطع عن اقليم انكلترا سنة ١٨٩٨ . واقليم غاليا ـ سويسرا ضم سنة ١٩٠٠ اقليم ليون وباريس واسبانيا. ومن اقليم النمسا خرج سنة ١٩٠١ اقليم براغ، واقليم بولونيا سنة١٩٠٩. سنة ١٩١١ تشكل اقليم الزاس. وفي نفس السنة فصل اقليم كندا عن بلجيكا. سنة ١٩١٨ قسم الاقليم الكندي الى اقليم سانت آن واقليم تورنتو . سنة ١٩٢٧ انشيء اقليم اوستراليا .

اما الاقاليم التي انشئت مؤخرا فهي :ـ

سنة ١٩٤٣	الارجنتين
١٩٤٤	البرازيل
١٩٤٧	اكوادور
١٩٦٠	كولومبيا
بعد سنة ١٩٦٠	شيلي
	الهند
	المكسيك
	زيلاندا الجديدة
	وفيتنام

الى هذه الاقاليم تضاف الاقاليم الفرعيــة، التي مازالت تابعــة للاقليم الذي اســـسها، ولكنها تضم ٢٠ عضوا على الاقل، ونمـــا نائب اقليمي خاص يتمتع بسلطات واسعة. وهي التالية:

سنة ١٨٩٩	زائــــير
١٩٠٢	جزر الانتيل (جزر الهند العربية)
١٩١٠	بوليفيـــا
١٩١٨	بورتوريكـــو
١٩٢٤	الفلبـــين
١٩٢٥	فينزويــلا
١٩٤٢	دانمـــارك
١٩٤٦	جنوب افريقيا
١٩٥٢	يوركتن (كندا) للاوكرانيين
١٩٥٣	بــيرو
١٩٥٣	برتوغـــال
١٩٥٥	اليابـــان
١٩٥٥	ســان سلفادور
١٩٥٦	تايلنـــد
١٩٦٠	اندونيسيـــا
١٩٦٠	فولتا العليـا
١٩٦٠	النيجـــر
بعد سنة ١٩٦٠	ماليســيا

ب ـ الرسالة

مازالت رسالة الرهبنة بالدرجة الاولى وفى الوقت الحاضر ايضا هي القيام بحملات روحية في الخورنيات. والرهبان يكيفون نشاطهم ليصلوا الى اكبر عدد ممكن من الناس. فهذه الحملات تسبقها احيانا زيارات للعوائل، يقوم بها الاباء من بيت الى بيت، بحيث لاتبقى عائلة واحدة بدون زيارة. اثناء هذه الزيارات يكتشف الاباء، فى المدن الكبرى خاصة، ان نفوسا عديدة تعيش فى النسيان، فى شقق مهملة، لم يدخلها كاهن خلال عشر سنوات او اكثر. واحيانا تنظم هذه المواعظ للنساء او الرجال كل على حدة، لكي يبقى احدهم يرعى الاولاد في البيت او يكرزون فى احياء معينة من المدينة، لجماعات صغيرة، او امام مختلف الطبقات الاجتماعية، بمقتضى الحاجة. وبالتعاون مع رهبانيات اخرى، تغطي هذه الحملات احيانا منطقة برمتها .

كما ان الرياضات الروحية تأخذ قسطا كبيرا من عمل الاباء. اذ يوجد فى اقاليم عديدة بيوت خاصة للرياضات . حيث يرتادها طيلة السنة مجموعات من المرتاضين، يقضون هناك عدة ايام فى الاختلاء والصلاة . او ان الاباء يلبون الدعوة لتنظيم رياضات روحية فى المدارس ، وفى مقرات منظمات الشبيبة والعمال .

فى اغلب البيوت التي يسكنها الاباء يوجد كنيسة حيث تجري اجتماعات للصلاة والمواعظ بصورة منتظمة. نذكر منها على سبيل المثال الدير الكائن في مدينة روسلاره (بلجيكا). فالى سنوات خلت كان يوجد في هذا الدير ، عدا مواعظ يوم الاحد ، الاجتماعات التالية : يوم الاثنين: رتب روحية اكراما للقديس جيراردس، يوم الثلاثاء: اجتماع اخوية ربات البيوت، الاربعاء: اجتماع اخوية الشابات، الخميس: اجتماع اخوية الرجال، السبت: تساعية دائمية لمريم أم المعونة الدائمة.

وكان يتخلل هذه الاجتماعات كلها صلوات وموعظة. وكانت مستمرة طوال السنة. يضاف اليها مواعظ اكثر تركيزا في ايام الاعياد او التساعيات الخاصة. وكلها تجري في الكنيسة. اما الرياضات المغلقة فلها مكانها على حدة في بيت الرياضة المجاور للدير.

بعدما استقرت الاديرة وراء جبال الالب، بدأت تولي اهتماما خاصا بالرسالات الى البلدان الاجنبية. فكانت الولايات المتحدة اول « بلد الرسالة » ثم بلدان اخرى كثيرة كما لاحظنا ذلك في قائمة انشاء الاقاليم والاقاليم الفرعية. والبعض منها لم تظهر على القائمة لانها ما زالت غير بالغة بعد الى مرحلة التقدم الذي يتيح لها ان تصبح اقليما فرعيا. فلو اردنا احصاء البلدان التي فيها اديرة للمخاصيين، لوجب علينا اضافة اسماء اخرى الى القائمة. فطالما لا يحتوى اديرة بلد ما على عشرين عضوا، تحسب هذه الاديرة مع الاقليم المؤسس

ان النشاطات الاربعة المذكورة وهي الحملات الروحية في الخورنيات، والرياضات، والرتب الدينية في كنيسة الدير، والرسالات الى الخارج، تحظى بالقسط الاكبر من رسالة المخلصيين. وهناك اعمال اخرى تصدر بمبادرة من الاباء، وتشكل كلها باقة من الازهار. نذكر منها مايلي :

رعاية الملاحين المقبلين الى الموانيء في البلدان الاجنبية، فالرهبنة تهيء مراكز لاستقبالهم.

وتهتم بالسجناء الذين خرجوا من السجن، هؤلاء الناس الذين غالبا ما يتبرمون من حياتهم، والمجتمع ينظر اليهم بعين الاحتقار، اما الرهبان فيجدون لهم عملا ومسكن، ...

وتعتني ايضا بالفتيان المهملين ، وهم بالاخص اولاد وشباب سائبون فى المدن الكبرى، لايلقون اي عطف او رعاية من عوائلهم، ولاشاغل لهم سوى التسكع فى الشوارع بدون رقيب .

احياء مغلقة : في مدن كثيرة احياء فقيرة ، مغلقة تقريبا بوجه اولئك الذين لايسكنون الحي. الم يأتي المسيح من اجل هؤلاء الناس الفقراء؟ نعم . ينبغى ان نذهب هناك ، ونفتح ديرا صغيرا ومعبدا .

ج ـ الحياة الرهبانية

لكل حياة رهبانية قاعدة اساسية هي بذل الذات الكامل للمسيح وكنيسته، هذا البذل الذي يتم التعبير عنه بالنذور الثلاثة وهي نذر العفة والطاعة والفقر . ان المجمع العام المعقود سنة ١٩٧٣ يعطى لاعضاء الرهبنة التوجيهات التالية التي تحدد الروح الذي بموجبه يستطيعون أن يعيشوا النذور الثلاثة في الوقت الحاضر :

العزوبية : انها علامة ملكوت المسيح على الارض. ينبغي للراهب ان يتشبع من هذا السر اكثر فاكثر، ليستطيع بذل ذاته كما فعل المسيح بقلب سخي ملىء بالمحبة .

الطاعة ، يزداد هذا النذر وضوحا اكثر فاكثر ، فى الوقت الحاضر على انه تضامن مع الجماعة. وهذا النوع الجديد من الخضوع يقتضي له شعور اعمق بالمسؤولية لدى الرئيس ولدى بقية الزملاء على حد سواء . ولكن الجمعية ايا كانت لاتستطيع بلوغ هدفها اذا افتقرت الى سلطة حقيقية . فجميع الاعضاء مدعوون الى العمل معا وكلّ واحد منهم يساهم فى العملّ الجماعي حسب قدرته الشخصية. وفى تنفيذ ما تم اقراره معه يتحمل الرئيس المسؤولية الاخيرة.

الفقر : لايمكن للفقر ان يكون حقيقيا اذا ما طبقه كل فرد حسب اختياره الخاص . فالكل يخضعون للرئيس فيما يخص استعمال الخيرات المادية. ان الفقر منوط بخدمة الرسالة. ففيرنا يستفيد مما نملكه نحن ، وعلى الاديرة كلها ان تعرف كيف يستطيع جميع الاعضاء الاستفادة من الماديات في سبيل رسالة افضل . وعليها ان تساعد بلدان الرسالات، وتهتم كل الاهتمام بالاستجابة الى طلبات الفقراء .

ونضيف هنا الفكرة الرئيسية التي وردت في تصريح من الرئيس الاعلى الحالي الاب يوزف بفاب ، بتاريخ ١٨ اذار سنة ١٩٨٠ ، حيث يقول : «ان اهم هدف لنا نحققه في المرحلة التي نعيشها الان، هو التعمق في حياتنا الروحية. لان الشرط الاولي لاعلان كلمة الله، كما ولكل التزام رعائي واجتماعي اخر، هو استطاعتنا على نقل خبرتنا عن الله. فبهذا الامر يتعلق تصديق الناس لنا. ان الانسان المعاصر يشعر بالجوع الى الاصالة، والشباب بالاخص، يمقتون كل ما هو مزيف ويبحثون عن الحقيقة قبل كل شيء. فهم يلقون علينا السؤال القائل : هل انتم مؤمنون حقا بما تعلنون ؟ هل تعيشون ماتؤمنون به ؟ . ينبغي أذا ان تنبع غيرتنا على نشر الانجيل من روحية صادقة وعميقة تنفذ حقا الى حياتنا كلها » .

الدور الثاني : الاباء المخلصيون في الشرق الاوسط

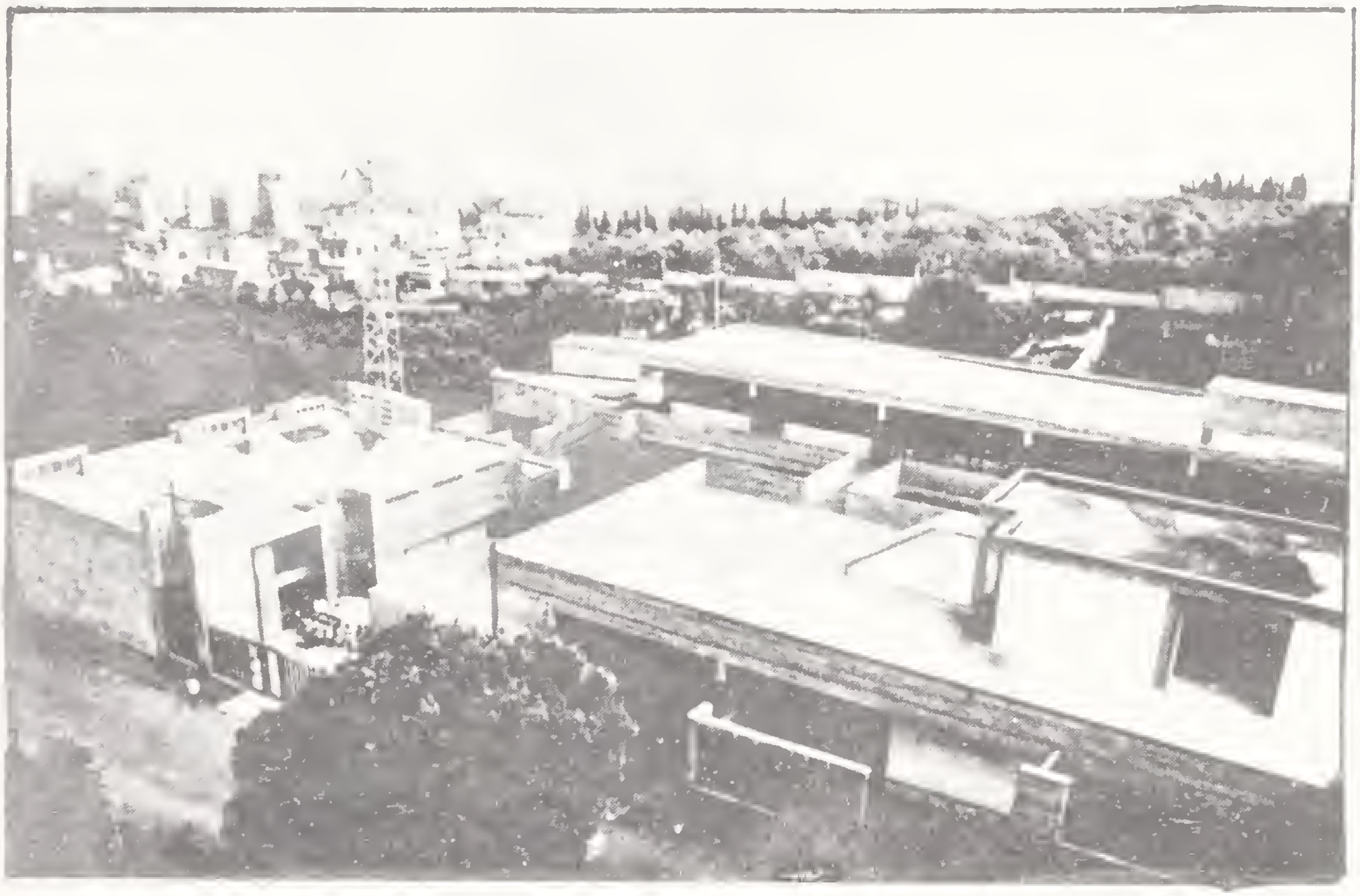

كنيسة ومدرسة ام المعونة في بيروت

فى شهر تموز سنة ١٧٥٨ استلم القديس الفونس رسالة فى نابولي، ارسلت اليه من قبل مجمع انتشار الايمان ، يطلب فيها ابناء يعملون لدى مؤمني كنيسة الشرق . لم يكن هذا الاقتراح متوقعا من قبل الرهبنة الفتية التي لم يمض بعد على تاسيسها سوى ٢٥ سنة وكان شغلها الشاغل الوعظ فى قرى الجبال الكائنة فى جنوب ايطاليا. اما الان فعليها ان تبسط جناحيها للريح .

كان القديس الفونس يرى ان رهبنته ملتزمة بالاستجابة لطلبات الناس المتعطشين للانجيل . ومن هذا المنطلق ايد الطلب المعروض عليه ، فكلف احد مستشاريه بتوجيه الى اعضاء الرهبنة رسالة يعرض فيها المهمة المطلوبة، ويشجع الرهبان الراغبين القيام بها. فكان الجواب ايجابيا جدا، حيث تقدم لهذا العمل اباء مسنون، ولاهوتيون شباب ايضا. والمجمع اشترط عليهم، والحالة هذه، ان يصبحوا كهنة محليين. غير انهم رفضوا هذا الشرط، والاقتراح بقي فى مكانه .

وبعد مئتي سنة عادت المسالة الى الاذهان. وهذه المرة ورد الطلب الى الرهبنة من قبل المجمع المقدس للكنائس الشرقية، قائلا : «هل يستطيع الاباء العمل بين الاثوريين والكلدان في الشرق الاوسط ؟ فكان رد الاباء بالايجاب .

لايمكننا اطالة الكلام عن هذه الرسالة التي مازالت حديثة نوعا ما، نكتفي بالحديث عن مراحلها البارزة فقط .

١ ـ الخابور

ان اسم ماردين وديار بكر والرهـا (اورفه) وغيرهـا، تعيد الـى الذاكرة تدسية الماضي العريق . اذ في هذه المناطق نمت وازدهرت عوائل مسيحية غفيرة، اضطرت اثناء الحرب العالمية الاولـى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) الى الهجـرة. فالبعض نزحوا الى ايران، وغيرهم الى العـراق، واخرون الى سوريا. وهكذا تشكلت جماعات مكونة من حوالي ١٠ ٠٠٠ نسمة من الاثوريين والكلدان حـول ضفاف نهر الخـابور ، في شمـال سوريا، متوزعين على اكثر من ٥٠ قرية صغيرة. واخذوا ينظمون حياتهم ويكسبون قوتهم اليومي بفلاحـة الارض . ولا نستغرب اذا ما راينـا الوضع الديني لهؤلاء الناس يتدهور هو الاخر، بعد المتاهات الطويلـة والمشاق الثقيلة التي عانوها . فبعلما استقروا فى قراهم ، كانوا مفتقرين الى حاجات ماسـة، ومنها الكنائس والمدارس. وللحصول عليها، وجهـوا انظارهم الى روما. بتأريخ ١ شباط سنة ١٩٥٢ طلب المجمع المقـدس للكنائـس الشرقيـة من الاباء المخلصيين ان يقوموا بالخدمات الروحية للاثوريين والكلدان الساكنين بجوار الخابور. وفي هذه الحالة يلتـزم الاباء بتبني الطقس الكلداني. والعمل يكفي له ٤ او ٥ اباء .

اما ارسال هؤلاء الاباء فأخذه اقليم الرهبنة البلجيكي على عاتقـه . ولهذا العمل تعين الاب موريس ديماريه رئيسا، وكان اول مسـاعد له هو الاب حنا براتس، على أن يلحق بهما اخوة اخرون حسبما تدعو الحاجة. فى ٣ تشرين الثاني سـنة ١٩٥٢ سافر الابوان الى باريس لتعلم اللغـة والليتورجيا الكلدانية على يد الخوري عبد الاحـد دهان .

وبعد سنة اي بتاريخ ٢٩ـ١٠ـ١٩٥٣ تحولا الى بيت الدراسـات العائد الى الاباء اليسوعيين فى بكفيـا (لبنان) لتلقي اللغة العربيـة. وفى هذه الفترة لم يكونا ليل نهار منكبين على الكتب ، بل وكانا يلتقيان بالمطران

نعمو ، المسؤول الكلداني عن المنطقة . وقدما طلبا الى اخوات القلبين الاقدسين للحصول على راهبات يعملن معهما. ثم قاما بزيارة اولى لقرى الخابور . فلمسا الحاجة الملحة للتعجيل بالعمل الذي من اجله اقبلا.

وهناك لقيا مشكلة عويصة. فالمنطقة «محذورة» عن الاجانب، ولكي يخرجا من مكان الاقامة الاعتيادية فى سوريا ينبغي لهما الحصول على تأشيرة خاصة. وقد حصلا على هذه التأشيرة بتاريخ ٢٠ شباط سنة ١٩٥٥. وكانت نافذة المفعول لمدة ستة اشهر، انها مدة قصيرة، لكنها كافية فى ذلك الحين .

فى هذه الاثناء زار المطران نعمو منطقة الخابور بصحبة الاب ديماريه. وقرر اقامة الاباء في قرية تل عربوش . وسرعان ما تهيأ مسكن الاباء . انه بيت صغير من طين، مكون من غرفتين. لاشباك فيهما، كسائر بيوت القرية .

ولكن ينبغي شراء قطعة ارض لبناء المدرسة والمستوصف اللذين سيكونان تحت ادارة الراهبات .

اثناء الاستعداد للبناء، استقر الاب ديماريه والاب براتس في قرية تل عبوش، وذلك فى شهر حزيران سنة ١٩٥٥ وشرعا بزيارة القرى، بدأ بقريتين او ثلاث كان فيهما كاهن. وكان العمل لبناء المدرسة والمستوصف يحظى بالاولوية، لان الراهبات لاياتين الا بعد الانتهاء من البناء .

اما تأشيرة الاقامة فقد مددت لثلاثة اشهر اخرى .

فى ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٥٥ وصلت ثلاث من اخوات القلبين الاقدسين الى تل عبوش. وتم افتتاح المستوصف حالا. لكن الاجازة لفتح

المدرسة لم تكن مستحصلة بعد. فكانت الاخوات يواصلن النشاط الذي بداه الابوان . وهاهما الان مضطران على ترك المناطق ، لان التاشيرة لم تمدد ثانية . فللبقاء في سوريا يمكنهما الاقامة في دمشق او حلب .. حيث طوائف اخرى تقترح عليهما العمل لديهم. لكن الابوين رفضا، لانهما امبلا الى الشرق لخدمة الاثوريين والكلدان. فهما يتركان سوريا اذا لم يستطيعا الاقامة فى منطقة الخابور. او يقيمان فى لبنان، ومن هناك يحاولان عمل شيء لسكان الخابور . ومن لبنان يحاولان ايضا الحصول على سماح رسمي للاقامة في منطقة الخابور. لكنهما تركا المنطقة دون رجعة. اما الاخوات فقد مكثن لمدة عشرة سنوات فى تل عربوش . ثم تخلين عن الابنية لراهبات الكلدان، بالاتفاق مع مجمع الكنائس الشرقية .

٢ ــ بيروت

فى بداية سنة ١٩٥٦ اقام الاب ديماريه والاب براتس فى بيروت ، وانضم اليهما اربعة اخوة اخرين كانوا قد اتوا لمساعدة هذين الرائدين. ولكن ماذا يعملون الان ؟ انهم لم يستطيعوا فتح مدرسة في تل عربوش. اما فى بيروت فهذا ممكن وان كان على نطاق اضيق . وستكون «مدرسة رسولية» يمكنهم فيها انماء دعوات محتملة. وكان الاباء على اتصال بالاخوات اللواتى مكثن فى تل عربوش . وفى السنة عينها افتتحت المدرسة المذكورة ، لسبعة اولاد ، ستة من تل عربوش واخر من تل هرمز ، القرية المجاورة . وكان الاولاد يداومون فى مدرسة عائدة للاباء اليسوعيين. ويسكنون فى بيت الاباء المخلصيين المؤقت. اما المشروع الثاني فكان التهيئة للرسالة بين الكلدان والاثوريين الموجودين في بيروت. ولهذه الغاية اشتروا قطعة ارض فى الحي الاثوري فى سد البوشرية حيث بنوا مدرسة وكنيسة. والكنيسة مازالت

قائمة وتحمل اسم العذراء ام المعونة الدائمة. وكل يوم احد يقيم فيها الاباء القداس الاول باللغة العربية لاهالي الحي، وبما ان كنيسة الكلدان الكائنة فى شارع دمشق مغلقة الان بسبب الوضع الحالي فى لبنان، فالكهنة الكلدان يقيمون قداسا ثانيا في تلك الكنيسة للجماعة الكلدانية .

الى جانب الكنيسة ازدهرت فرقة من الكشافة مؤلفة من فتيان الحي. كما ان اخوية مريم تقوم برسالة مثمرة. وفى اسفل الكنيسة يقع النادى الذى يؤمه الاثوريون . ومن الجانب الاخر مستوصف صغير يديره الاخ كريستيان .

ومدرسة الاباء تحمل هي الاخرى اسم العذراء ام المعونة الدائمة. وهي مدرسة ابتدائية خاصة بالطائفة الكلدانية، التي هى المسؤولة عن ادارة المدرسة. والاباء يعملون فيها بتعاون مباشر مع الادارة. منذ وقت طويل تجاوزت المدرسة فكرة احتواء الدعوات المحتملة. ولا تضم بعد اولادا من سوريا . بل ان معظمهم الان هم من الاثوريين الساكنين في المنطقة. سنة ١٩٨٠ كان عدد الطلاب ٣٣٢، منهم ١٠٦ اثوريون، فهم يشكلون ثلث المجموع، اما البقية فمن طوائف اخرى .

ان الاب حنا براتس، فى حياته وموته، يبقي رمز الاخلاص في خدمة كنيسة المشرق وقد رقاه المطران روفائيل بيداويد فى ٢١ نيسان سنة ١٩٦٨ الى رتبة اركذياقون الكنيسة الكلدانية ومنحه حق حمل الصليب والخاتم .

بعد هذه الترقية بسنتين توفي الاب حنا بحادث سيارة . والحادث جرى كما يلي. كان الاب جاك اسحق، وهو كاهن كلداني عراقي ، عائدا من روما بعد انهاء دراسته، فمر ببيروت، ومنها اراد السفر الى دمشق لزيارة اصدقاء، فاقترح عليه الاب حنا ان يسافر بسيارته.

واستصحبا معهما الاب اوغسطين صادق والاب لويس الديراني المقيمين في بيروت لخدمة الطائفة الكلدانية ، وانضم اليهم السيد روبنس عبوش . وهو عضو فعال في الخورنة. وبينما كان الاب حنا يقود سيارته على طريق بيروت ـ دمشق، اراد اجتياز سيارة كانت امامه، فقابلته سيارة فى الخط المعاكس لم يتمكن الاب حنا التخلص منها . فاصطدمت السيارتان، وعلى الفور توفي الاب حنا، اما الاخرون فقد اصيبوا بجروح . وكان ذلك يوم ٢٧ تشرين الاول سنة ١٩٧٠ . دفن الاب براتس فى مقبرة الكهنة الكائنة تحت كنيسة الكلدان فى بيروت .

٣ ـ بغداد

في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٨ تم انتخاب المطران بولس شيخو ، مطران حلب، بطريركا للكلدان. وقبل ابرشية حلب كان مطرانا لابرشية عقرة، وهناك التقى بالاباء المخلصيين. وفى حلب كان يهمه بشكل مباشر نشاط الاباء فى منطقة الخابور .

في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٩ وجه البطريرك رسالة الى الاب ديماريه يطلب فيها معلما للمعهد الكهنوتي في بغداد. فى السنة الدراسية ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ كان اثنان من الاباء يعطيان الدروس فى المعهد . وفي سنة ١٩٦٤ و ١٩٦٥ أقبل اباء اخرون ، ومنهم الاب ديماريه نفسه ، وكان حينذاك قد انهى مدة ثلاث سنوات بصفته رئيسا اقليميا للمخلصيين الفلامنكيين وكان يتمنى العيش من جديد فى الشرق الاوسط العزيز عليه جدا .

توفي الاب براتس في نهاية سنة ١٩٧٠ كما قلنا. وفى بداية ١٩٧٤ لحق به الاب ديماريه الى دار الخلود . وكان مدة رئاسته الاقليمية قد اصيب بمرض عضال ادناه من القبر . لكن استعاد صحته ، واستمر

يعمل فى بغداد لمدة عشر سنوات. الى ان وافاه الاجل فى يوم ١٠ شباط سنة ١٩٧٤ . ودفن فى مقبرة راهبات التقدمة في بغداد .

يوجد حاليا ثلاثة اباء مخلصيين فى بغداد ، يعلمون فى المعهد الكهنوتي الكلداني في الدورة، ويقدمون خدمات روحية مختلفة فى الخورنات الكلدانية . ولهم دور فعال في حقل التعليم المسيحي . كما ان الاجانب العاملين فى العراق يلقون لديهم خدمة رعائية باللغات الاجنبية .

عناوين

بغداد : دير الآباء المخلصيين

حي الكرادة

محلة ٩٠٣ زقاق ١٥ رقم الدار ١٢

ص . ب ٥٧٩٢

الهاتف ٧١٩١٢٤٤

بيروت : دير الاباء المخلصيين

سد البوشرية / حي الاثوريين

مدرسة ام المعونة الدائمة

ص ب : جديدة المتن ٩٠٧١٣

الهاتف ٢٦١١٤٠.

الدور الثالث : جوانب من الامانة

(١) القديس الفونس دي ليغوري (١٦٩٦–١٧٨٧)

يعود الفضل كل الفضل في تأسيس رهبنة المخلصيين الى سيرة القديس الفونس بالذات . فمن قراءتنا لتاريخ هذه الرهبنة نكتشف اهم الاحداث التي انطوت عليها حياة القديس. وهذا الاكتشاف. مع ذلك. لايجدينا نفعا لمعرفة القديس. الا اذا اطلعنا على عدة ملامح خاصة تتصف بها حياته الشخصية . فما هي مقوماته الانسانية ؟ وما هو الطريق الذي سلكه للتقرب من مخلصه ؟

١ ـ المحامي الشاب

راى القديس الفونس النور في نابولي يوم ٢٧ ايلول سنة ١٦٩٦ . وكان والده يوسف دي ليغوري من احدى عوائل النبلاء العريقة، يعمل كقائد اعلى في القوة البحرية في نابولي . وكانت والدته آنا كافاليري ابنة عائلة مرموقة بين عوائل الاشراف. وكان الفونس الابن البكر بين اخوته الثلاثة واخواته الاربع .

تلقى الفونس في صغره تربية الامراء الصارمة ، التقليدية لدى الاشراف. فكان عليه وعلى اخوته ان يرقدوا على الارض مرة واحدة في الاسبوع . كما ان الدراسة والثقافة كانت معتبرة من علامات الشرف . اكتسب الفونس معلومات اولية في اللغة اللاتينية واليونانية والفرنسية، دون الاستهانة بالمواهب الفنية، لانها هي الاخرى، جزء من الصورة التي يراها النبلاء في رجل مثقف. وكان الفونس موهوبا في الموسيقى والشعر، وله قابلية ما في الرسم والهندسة .

اما ثقافة الفونس الدينية فكانت تسير جنبا الى جنب مع الثقافة العامة الفنية جدا ، التي اهتم له والداه بشأنها . فما عدا القديس الفونس ، انضم اربعة اولاد اخرين من العائلة الى الحياة الكهنوتية والرهبانيــة ، وهذا دليل علــى أن حيــاة الايمــان لــدى ال ليغوري لم تكن مسيرة بالعــادة والتعــود .

شرع الفونس الشاب بتلقي دروس الفلسفة والقانون، وكان عمــره حينذاك ١٣ ســنة فقط . ان قابليــات الفونس الطبيعية تفوق المستوى الاعتيادي. فى السنة ١٦ من عمره اكتســب لقب دكتور في القانون مــن جامعة نابولي ، بعد حصولــه على استثنــاء من الجامعة ليتاح لــه اجتياز الامتحان. ثم قضى ثلاث ســنوات من التمرين على مهنته المحاماة التي رقي اليها،وفى هذه الاثنــاء جذب الانظار اليه بغيرته على حضور جلسات المحكمة ومداولات القضــاة، والمحاضرات التي يقدمها مشاهير الخبراء .

فى سنة ١٧١٥، وكان له من العمر ١٩ ســنة، بدأ مهنته الفعليــة كمحام. وان النجــاح الــذي لقيه سرعان ما جعله من اشــهر محامــي نابولي. انتشرت شهرته باطراد حتى سنة ١٧٢٣. في هذه السنة خسر الفونس دعوى مهمة. فثار سخطه بالاخص، من الاسلوب البليد الــذي جعله يخسرها . غفلة صارخة عن بعض النقــط فى اضبارة القضــية .

واول رد فعل صدر عن المحامي الشــاب، المصــدوم بعمق، هو انه انزوى، معتصما فى غرفته، دون ان يتمكن من اعادة الهدوء الى نفسه، ولا ان يظهر امام زمــلائه، الذين كان الكثيرون منهم يعلقون على نتيجة الدعوى بارتياح مبطن. وعندما طلع الفونــس اخيرا من غرفته فاجــأ الجميع بالقرار الذي اتخذه، وهو انه عزم على ان يكون كاهنا .

(٢) القديس الفونس ، كاهنــــا

لقد كان عزمه هذا غير متوقع بتاتا، في حين ان الفونس كان قبل ذلك بثلاثة اشهر، اثناء رياضة روحية، قد اتخـذ القصد على ان يصبح كاهنا. لكن لم يجد حينذاك الفرصة الملائمة لوضـع عزمه موضـع التنفيذ، ولا لعرضـه على والـده . فاضحى خسـرانه لتلك الدعوى عاملا فجائيـا مباشرا سهل عليه الامور لقطع علاقته مع المحاماة. ولكن كيف يقنع والده الذي له امل كبير في مسـتقبل ابنه البكـر. اضافة الى انه كان قد شرع في التحدث والاعـداد لزواج الفونس، الذي كان يمانع في ذلك. واخيرا سمح له والده بما يريد ولكن على مضض، حتى انه تخلى عن ابنـه، الـى ما بعد رسامته الكهنوتية التي تمت في يوم ٢١ كانون الاول سنة ١٧٢٦ . وظل متمسكا بموقفه هذا لمدة ثلاث سـنوات. واذا بكـل شيء يتغير فجأة في فصل الخريف سنة ١٧٢٩ . وحينما كان الدون يوسف عائدا من البلاط الملكي. فشاهد جمعا غفيرا مزدحما امام كنيسـة الروح القدس، مندفعا الى سماع موعظة الفونس. فدخل الكنيسـة هو الاخر. وظل مصغيا الى ابنه وهو يعـظ، فتأثر منه اشـد التاثـير . وعندما التقى بالفونس مساء ذلك اليوم، اقر له بأن الموعظة لمست شغاف قلبه، وقال: « لقد علمتني اليوم أن اعرف الله ، بوركت يا ولدي من اجـل كهنوتـك المرضي جـدا لربنا». ثم عانقه طويـلا ... لقـد زال البعـد بين الاب وابنه، وتم اللقـاء .

(٣) تاسيس وهدف رهبنة المخلصين

سرعان ما وجـد الدون يوسـف نفسـه امام مفاجـاة جديدة ستبعده ثانيـة عن ابنـه ـ ولا يمكننا هنا الا ان نستعيد حادثة الانجيل التي فيهـا يحـدد يسوع موقفه من اهلـه. فقد جـاء احد يقول له: « ها امك واخوتك في الخـارج يطلبونك .» فاجابهم قائلا : «من امي ، ومن

اخوتي : » واجال نظره في المتحلقين حوله ، وقال : « ها امي واخوتي . فان من يعمل مشيئة الله ، هو اخي ، واختي وامي » (مرقس ٣: ٣١ ـ ٣٥) فالقديس الفونس بعد فترة المواعظ التي كرزها في كنيسة الروح القدس ، ذهب في الصيف التالي الى سكالا لقضاء عدة ايام من العطلة ، في منسك القديسة ماريا دي مونتي ، وهناك تحولت تلك ايام الراحة الى نشاط رسولي بين سكان الجبل ورعاة سكالا ، حيث اكتشف ، مندهشا ، التسيب الكلي من الناحية الدينية . وهناك سحرت عقله كلمة الخلاص ، وترسخ في ارادته الرسولية العزم على الاتيان بعدد من الكهنة يلقون المواعظ في هذه المنطقة . اما تأسيس رهبنة المخلص الاقدس فلم يتحقق الا بعد سنتين لكن هدفها واسلوب عملها لم يتركا مجالا للشك لدى الفونس .

ان تأسيس رهبنة في سكالا ، يعني بالنسبة له ، ان يترك نابولي ، ويترك عائلته ، ولم يكن الدون يوسف بحاجة الى وقت طويل ليقف على مدى غايات الفونس ، فقال له : « هل تذهب وتتخلى عنا ؟ هل تذهب تواري نفسك في الجبال ؟ لا تفكر في هذه المسألة ! » .

الفراق المقبل شديد الوطأة على الفونس كما هو على والده ، واخيرا كتب الى المطران فلكويا ، مرشده الروحي قائلا : « اعطني عاجلا ، عاجلا عاجلا ، الامر بالسفر . اذ ينبغي ان نبدأ بلا تأخر في ابطال الامور التي تعترض مشروعنا » . فأجابه المطران فلكويا حالا بانه في انتظاره في سكالا في بداية تشرين الثاني ، « لان كل شيء مهيأ لك هناك » .

وهكذا في بداية تشرين الثاني ، شاهده اهالي نابولي يبتعد عن العاصمة ، مرتديا ثيابا بسيطة جدا ، وراكبا ظهر حمار ، استجابة لنداء الرب الذي دعاه للعمل في خدمة الانفس المهملة ، ترك الفونس المال والمجد ، اباه وامه ، انه ترك كل شيء ، قائلا : « الله دعاني ، فعلي ان اطيع»

في يوم ٩ تشرين الثانى سنة ١٧٣٢ أسس الفونس رهبنة المخلصين .
وقد ازدهرت الجمعية بسرعة ، فبعد البيت الذي تم فتحه في سكالا ، فتح بيتا اخر فى فيلا ديلي سكيافي وبيتا ثالثا في تشوراني . وفى هذا البيت الاخير كان الاباء يلقون المواعظ فى الرياضات الروحية ، وفى يوم من الايام كان والد القديس الفونس احد المرتاضين هناك . وفي نهاية الرياضة طلب الدون يوسف من ابنه السماح له بالبقاء في الدير كاخ راهب . لكن الفونس اقنعه بمنتهى اللطف انه لا يستطيع التخلي عن واجباته كرب عائلة ، وما هذا الطلب الا دليل ساطع على ان والد الفونس ايد اخيرا بكل قواه دعوة ابنه الكهنوتية . « من يعمل مشيئة الله ، هو اخى واختى وامى » . لقد كانت تشوراني حقلا واسعا للرسالة ، حيث راح القديس الفونس واخوته الكهنة يبذلون قصارى جهدهم في نطاق هدفهم السامي ، الا وهو الكرازة بالانجيل للانفس المهملة اشد الاهمال ـ لكن القديس المؤسس لم يرد ان يضيع زملاءه الكهنة في نشاط خارجي متفاقم فبعد كل فترة من العمل الرسولي ، امر ان يعود الواعظون الى الدير لقضاء وقت من الراحة والسكينة ، لان على الاباء ان يقدسوا ذواتهم في الصلاة والصمت . وبهذا بقي الفونس امينا على قصده الاول القائل : ذاك الذي يحيا ، شخصيا ، فى نعمة الله ، ذاك وحده يستطيع ان يسكب هذه النعمة على الاخرين . وما جوابه ، ذات يوم ، عن سؤال احد الراغبين في دخول الرهبنة ، الا تعبير صادق عن هذه الحقيقة . فى بادىء الامر سأل الفونس ذلك الراغب قائلا له : « لماذا تريد الدخول الى الرهبنة ؟ فاجابه الراغب : « لكي اضمن خلاصى الابدي » فاردف القديس الفونس قائلا : « هذا لا يكفي . بل ندخل الرهبنة لكي نصبح قديسين » .

في تشوراني شرع القديس الفونس بتاليف الكتب . وقد ألف كتاب « زيارات للقربان الاقدس » وكتاب « امجاد مريم » لمساعدة المسيحيين

فى صلاتهم وعبادتهم . وهذان الكتابان لقيا نجاحا باهرا . اما كتابه الثالث « اللاهوت الادبى » فقد حظى برواج منقطع النظير . فقد اعيد طبعه تسع مرات متتالية والقديس الفونس بعد على قيد الحياة . بينما لم تكن نية القديس في بداية الامر من تاليفه هذا الكتاب سوى اعداد كتاب دراسي يستفيد منه الكهنة الشباب فى الرهبنة ، ولا بد ان المناقشات ، التي جرت في تشوراني ، والمواقف العملية المتخذة تجاه حالات راهنة ، او يجب اتخاذها خلال الرسالات ، قد ساهمت فى تكوين هذا الكتاب . لا شك ان الوقت الذى كان الاباء يقضونه فى الدير للعودة الى الينبوع الروحي لم يكن وقتا عقيما .

سنة ١٧٥١ اقام الفونس فى دير باكاني الجديد. في هذه الاثناء تم تأسيس ديرين اخرين، احدهما فى كابوسيله (على اسم والدة الله) والاخر في اليتشيتو . بينما تم اخلاء الديرين القامين فى سكالا وفي فيلاديلي سكيافي، بسبب مشاكل مادية وعدم ملائمة المكان لاديرة الرهبنة كما كان يطالب بها كهنة الابرشية. وكان التخلي عن دير سكالا خاصة مؤلما جدا للقديس الفونس لما منه من ذكريات عزيزة على قلبه .

اتسمت السنوات الاولى من الاقامة فى باكاني بمحاولات لدى الجهات الرسمية للحصول على الموافقة الملكية لمنح الرهبنة وجودا شرعيا. لكن القرار الذي صدر سنة ١٧٥٢ لم يجزم بشيء. فالرهبنة لم تنل لا التأييد ولا الالغاء. بعد مشقة الانتظار الثقيلة، وازاء المستقبل الغامض، التجأ الفونس الى الله، قائلا : «ليس لنا سوى ذراع الله التي تضمنا» .

والفونس بصفته رئيسا عاما كان يكتب العديد من الرسائل الدورية لاعضاء الرهبنة ، معظمها مستندة على وقائع ملموسة يستخرج منها

المؤسس نتائج عملية لزملائه. منها مثلا لماذا ترك الاب الفلاني الرهبنة ، او لماذا اضطر غيره لتركها نظرا لسيرته الملامة ، او كان هناك تساؤلات حول الفقر، والطاعة، او الموقف الذي يجب اتخاذه في بعض الاوضاع اثناء القيام بالرسالات. هذه المناسبات كلها كانت تصير نداء الى الامانة للدعوة. فعلى كل عضو من اعضاء الرهبنة ان يعطي ذاته لله بدون تحفظ ولا شروط. لان رغبة الوصول الى القداسة يجب ان تسبق كل عمل يقوم به راهب مخلصي . ولا شك ان الفونس كان ، قبل الجميع، يفرض على نفسه هذا المقتضى كقاعدة للحياة .

على سبيل المثال، نورد هنا نصا من رسالة كتبها في تشرين الثاني سنة ١٧٥١ : «اخوتي الاعزاء، اذا سمعتم ان احدنا دعاه الله الى الحياة الاخرى، فلا تحزنوا. انني اشعر بالحزن، لانني انسان، كما واتعزى ايضا لانه توفي في الرهبنة. ولي اليقين بأن هذا الاخ، وقد توفي في الرهبنة، فخلاصه مؤكد. اما حينما يترك احدنا الرهبنة بسبب اخطائه ، فأنا لا احزن به ابدا . لا بل وانا سعيد لدى رؤيتي نعجة جرباء تترك القطيع لئلا تعدي النعاج الاخرى . وحتى الاضطهادات لاتسبب لي الما.لابل، انها تقويني. لاننا، اذا سلكنا سلوكا حسنا، فانا متأكد من أن الله لا يتركنا ابدا . اما ما يقلقني بشدة فهو سماعي أن هذا او ذاك الرديء يعيش فيما بيننا، غير مبال بالطاعة، ولا بالمحافظة على القانون ...» .

«ان رسالاتنا، والحمد لله، تصنع عجائب، في كل مكان نقوم بها، فالناس يقولون انهم لم يروا سابقا رسالات مماثلة. ولماذا ؟ لاننا نقوم بالرسالة بروح الطاعة والتواضع ، ولاننا نكرز بيسوع مصلوبا ، ولان كل واحد منا يقوم بالمهمة المكلف بها. ولقد شعرت بألم قاس لدى سماعي ان البعض اثناء الرسالة، طالب بدور مرموق اكثر، كأن يقوم هو

بألقاء الموعظة الكبرى ، او بالارشاد . ولكن يا ترى ، ما هي الثمار التي يجنيها ذاك الذي يكرز ممتلئا من التكبر ؟ ان امورا كهذه ترعبني ، اذا ما تسرب روح التظاهر الى الرهبنة فالرسالات لا تنفع لشيء بعد».

ومن رسالة اخرى مكتوبة في باكاني بتأريخ ١٣-٨-١٧٥٨، نذكر المقطع التالي : «اما بخصوص الملابس والثياب والمعاطف، اذا كانت بالية او مشققة، فعلى الرؤساء ان يهتموا بترقيعها، مهما كان ذلك ممكنا . بئس الرهبنة، اذا ما حان وقت يخجل فيه اعضاؤها من الظهور بثياب مرقعة ».

لسنة قبل هذا التأريخ، اي في شهر شباط سنة ١٧٥٧ جرت القصة التالية :

نتيجة للنجاح الكثير الذي كانت تلقاه الرسالات في كل مكان ، اضحى الفونس وجها معروفا لدى الرؤساء الكنسيين رغما عنه. فلم يكن بالامكان تنظيم رسالة دون اقتراح مسبق يعرض على القديس الفونس. فذات يوم ذهب الفونس لزيارة السيد جنتيله مطران تيليسا ، ليبحث معه حول القيام بنشاط روحي في ابرشيته . وهناك في مدخل دار الاسقفية التقى بعامل يدعى بسكاله، كان يكنس غرفة الاستقبال، فطلب منه اذا ما بامكانه ان يواجه المطران. استاء بسكاله من هيئة الزائر ولحيته المشعثة ، فأجابه ببرود : « سيدنا مشغول . اجلس على هذا المقعد». فقعد الفونس، والعامل يواصل الكنس . بعد برهة من الوقت اعاد الزائر طلبه . فأردف بسكاله : « يبدو انك مستعجل جدا » . ولما وصل بالكنس الى حيث الفونس كان جالسا ، زجره بحدة قائلا : « الا ترى ؟ قم من هنا ! » تحول الفونس الى مقعد اخر دون ضجر. وبعدما انهى بسكاله عمله راح يقول للمطران ان متسولا يريد التحدث اليه . قال المطران : ما اسمه ؟ فخرج بسكاله ليسأله

عن اسـمه بنفس اللهجة من الجفاء. ثم عاد ليقـول للمطران : اسـمه الفونس دي ليفوري ! وعلى الفور نهض المطران وشد حزامـه وعلـق صليبه على صدره وخـرج للقـاء زائره معانقا اياه بحرارة. اما بسكاله فقد داخلـه الخـوف من ان خطاه هذا يكلفه ثمنا غاليا . فبعدما طلع الفونس من مكتب المطران، لحق به بسـكاله معتذرا. اما الفونس فاردف انه يريـد اقامة القداس ويرغب الى بسـكاله ان يعاونه في الخدمة. وفي الحال لبى بسكاله الطلب دون تردد .

(٤) مطران ابرشية سنتاغاتا دي غوتي :

سـنة ١٧٦٢ اختير الفونس مطرانا لابرشـية صغيرة هي ابرشـية سانتاغاتا دي غوتي. كان عدد سكانها حين اسـتلمها القديس حوالـي ٣٠٠٠٠ نسمة ، اما الدار المطرانية فلها واردات جيدة . وينتمي اليها ستون كاهنا. وكان البعض من الاساقفة قد عرضوا على كردينال نابولي نقلهم الى الكرسي الشاغر. امامن الناحية الروحية فالابرشية كانت مهملة، فالكردينال فضل شخصا يهتم بانعاش روح الايمان فيها. فترك جانبا كل المرشحين واوعز الى البابا بأن القديس الفونس هو الاسقف المنتظر للابرشـية .

كان عمر الفونس ٦٦ سنة حين تسلمه المهمة الجديدة. ولكي يبدأ بالعمل اراد تشكيل رسالة في الابرشية كلها. لان ٣٠ سنة من العمل الرسولي في نطاق رهبنته الجديدة جعلته يفهم فعالية الرسـالات لتوعية الناس بمقتضيات الايمان. ولكي يبين ان الغاية من هذا العمل هـي الاهتمام بالابرشية، وليست دعاية للرهبنة، لم يكلف به اخوة مخلصيين. لكن رهبانا منتمين الى رهبنات مختلفة قاموا بهذه الرسـالة .

كان الاسقف الجديد سخيا جدا مع فقراء الابرشية. فقـد حلت مجاعة في المنطقة سنة ١٧٦٣ ـ ١٧٦٤ . وكان الفونس يتوقع هذه المحنة ،

لذلك كان قد خزن فى المطرانية كمية لاباس بها من المؤن. لكن كثرة الفقراء قضت عليها بسرعة. فشرع الاسقف بصرف النقود المتوفرة لديه. ثم اخذ يستدين فتراكمت عليه الديون، حتى قاربت المطرانية من الافلاس. فبدأ الفونس يبيع اشياءه الثمينة، وحتى الصليب الذي على صدره. وبعد ذلك لم يكن القديس يحمل على صدره الا صليبا من خشب. وفى هذه الازمة جرى حادث اخر يستحق الذكر هو: ثار الشعب ضد مختار المدينة المسؤول عن توزيع الاغذية. وهددوه بالقتل، فلجأ الى الدار الاسقفية، حيث لاحقه الجمهور الغاضب، ولم يهدأ الا بتدخل الفونس .

لقد تحقق التجدد الروحي المرغوب. تجول الفونس فى ابرشيته بزيارة راعوية ، كان خلالها مكرما مبجلا لدى الشعب . وحيثما يحل يتخذ اقامة مناسبة لتجمعات روحية، ولا يغادر المكان الا وقد اسس فيه اخويات روحية، او انعش الموجودة منها. وكان يلفت انتباهه خاصة الى الصور الدينية ، منطلقا من هذا المبدأ : « الصورة التي لا تحرك التقوى يجب ازالتها». لكنه فى مدينة فراسو الصغيرة خضع لرغبة الشعب الشديدة بالحفاظ على تمثال اسود ومشوه للعذراء مريم، لانه كان موضوع تقوى البسطاء .

لم يبق فى استطاعة الشعب الصبر على الكهنة المهملين لواجباتهم . وكان الناس يتشكون من كهنة عديدين لسيرتهم المخالفة للاخلاق . ولا يمكن معالجة الحالة الا باتخاذ موقف فعال ، وهذا ما عمله الفونس ، بحيث كان البعض من الكهنة يعتريهم الخوف لمجرد سماعهم باسم المطران الفونس الذي لم يكن يتاخر فى استدعاء الشرطة والمحاكم ضد الكهنة الذين لا يخضعون لامره. سنة ١٧٦٩ تم نفي تسعة كهنة من الابرشية. كما ان كاهنا

اخر حكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات . كانت هذه التدابير الوسيلة الوحيده الممكنة للقضاء على شكوك علني مفضوح .

وقع الفونس مريضا ، ولمدة سنتين لم يكن قادرا على اقامة القداس. بعدها تحسنت حالته لكن صحته الواهية وثقل السنين اقعده عن كل نشاط . وقد قدم استقالته مرارا عديدة ، وفي كل مرة كانت مرفوضة

اتسمت سنته الاخيرة كاسقف ممارس بحادث خارق العادة ، كان موضع جدال دقيق لدى البحث في قضية تطويبه ، وهو : توفي البابا كليمنضوس الرابع عشر صباح ٢٢ ايلول سنة ١٧٧٤ . وقبل ذلك اليوم اقام القديس الفونس القداس ، ثم جلس على كرسيه دون حراك ولا كلام. فلما شاهده الخدم على هذه الحالة من السكون والصمت فزعوا وهرعوا الى النائب العام ليخبرونه بالامر ، فقال : دعوه ولاتوقظوه . وبقي الفونس على هذا الوضع حتى صباح اليوم التالي. واخيرانحوالساعة السابعة قرع جرس الصلاة واشار الى انه يريد ان يقيم القداس . فتهافت اليه الخدام بدافع الفضولية والمهمة الخلمية . فقال لهم المطران متعجبا . «ولماذا اقبلتم كلكم؟» فقيل له: سيدنا، منذ يومين لم تتكلم، ولم تأكل شيئا، ولم يكن عليك اية علامة للحياة ! » . . فاردف المطران قائلا : « نعم ، كنت حاضرا لدى البابا في لحظاته الاخيرة » وعرف بعد ذلك ان البابا توفي حين استعاد الفونس وعيه .

٥ ــ السنوات الاخيرة والوفاة :

سنة ١٧٧٥ قبل البابا بيوس السادس استقالة القديس الفونس، فعاد الموسس وهو ابن ثمانين سنة الى دير باكاني . وهو ذا الشيخ جالس طيلة الوقت تقريبا على كرسيه المتحرك، يقضي نهاره متنقلا على كرسيه في ممشى الدير. فأذا دقت ساعة الدير، يتلو الفونس تحية للعذراء مريم قائلا : السلام عليك يا مريم . . . او يطوف في

جنبات الدير على كرسيه المتحرك متأملا في درب الصليب. او يتحول احيانا الى حديقة الدير على نفس الكرسي. وهناك يلعب حوله اطفال، فيشبه نفسه ببوم شيخ تحيط به عصافير مغردة . لكن ايام شيخوخته لم تمض كايام اعتيادية بما فيها من افراح واحزان . لانه في هذه السنين الاخيرة كان يعاني من ثقل الخراب الذي اصاب رهبنته. فهناك تنظيم مملكة نابولي، الذي كان غبنا له ، ثم فصل اباء نابولي عن الرهبنة . لقد حمل الفونس هذا الصليب لمدة سبع سنوات ، دون ان يجد حلا للمشكلة . واخيرا خارت قواه حين بلغ عمره تسعين سنة . وكان يؤتي له كل يوم بالقربان الاقدس ، والبرشانة التي تناولها يوم ١ اب سنة ١٧٨٧ كانت زوادته الاخيرة .

لقد ادرج الفونس فى مصاف القديسين يوم ٢٦ ايار سنة ١٨٣٩ . وبعد ذلك اقيم له تمثال فى كنيسة القديس بطرس برومـا ، ويشاهد الان بين مؤسسي الرهبانيات . وفى سنة ١٨٧١ اعانه البابا بيوس التاسع ملفانا للكنيسة ، هذا اللقب الذي استحقه نظرا لتآليفه في حقل اللاهوت الادبي ، التي بها جابه التعاليم اليانسينية(١) ، ودافع عن الايمان ضد عصر الاستنارة الموهومة ، وقدم توجيهات سليمة على صعيد الحياة النسكية . ان الانتشار الواسع الذي حظيت به كتبه يبين بوضوح انه كان واجهة قوية للكنيسة فى القرن الثامن عشر .

سنة ١٩٥٠ قدمه البابا بيوس الثاني عشر كشفيع للمعرفين وعلماء اللاهوت الادبي .

العيد : ١ اب

---

١ ــ اليانسينية تعليم ينكر حرية الاختيار ، وامكانية الانسان لرفض النعمة الالهية ، وشمولية الخلاص بموت يسوع المسيح . (المعرب)

(٢) القديس كليمنس ماريا هوفباور ١٧٥١ ـ ١٨٢٠ :

١ ـ يمشي على قدميه الى روما :

ولد القديس كليمنس ماريا هوفباور في تاسويتس القرية الصغيرة الكائنة في مورافيا (تشيكوسلوفاكيا) يوم ٢٦ كانون الاول سنة ١٧٥١ . وكان والده قصابا ، ويزاول ايضا الفلاحة والعمل في الكروم ، وكان كليمنس التاسع بين اخوته الاثني عشر .

في السابعة من عمره توفي والده ، تاركا في سباه اثرين بارزين الاول هو ثقته الراسخة بالله . اذا كان على والدته ان تجابه مسؤولية لا راحة فيها . وكانت ثقتها بالله سندها الاقوى . تلقن اولادها يقينها العميق بأن الله حاضر دوما ، فمن الطبيعي جدا ان نتحدث اليه عن الصعوبات التي نجابهها . يعزى الى كليمنس الصغير قول هو صدى لايمان والدته الواثق . في سنته الثامنة كان ذلك يوم يسير في الشارع مع والدته ، فيتوقفان من وقت لاخر لتحية معارفهما ، وتسألهم الى اين هم ذاهبون فيقولون : « نتمشى لتمضية الوقت » كانت هذه الكلمات تتسرب الى مسمع الولد الصغير ، فيقول لوالدته : « ماما ، اذا ليس لهم شيء يفعلونه ، لماذا لا يصلون ؟ » .

في كنيسة الخورنة كان كليمنس يؤدي مهمة حامل الشمعة . فكان يحلم ان يصبح كاهنا .

اما الاثر الثاني فهو العمل الدؤوب . فالوالدة لاتسمح بأن يبقى احد اولادها بطالا ، فلكل واحد منهم حصته من العمل ، حتى اصغرهم سنا . اذ بدون العمل لا يمكنهم الحصول على القوت اللازم من بداية الشهر والى نهايته .

فى السن الخامسة عشرة بدأ كليمنس يشتغل لدى خباز بصفة متعلم . وكانت رغبته في الكهنوت شديدة جدا . ولكنه لم يكن لا هو ولا والدته يستطيعان التفكير في ذلك . لان النقود المتاحة لهم لا تكفي للمعيشة . فكم بالاحرى للدراسة ، فما عليه الا ان يتعلم مهنة ما .

مكث كليمنس يعمل لدى صاحب المخبز لمدة ثلاث سنوات. ثم تركه فجأة وراح يعمل خبازا في دير للكهنة النوربرتيين . في هذا المكان لقي مجالا واسعا للتعبير عن شعاره القائل : «اليد فى العمل، والقلب لدى الله» . اذ كان قلب الخباز الشاب يريد ان يكون قريبا من الله الى ادنى حد ممكن . وفى الدير المجال متاح دائما للصلاة .

وهنا انفتح الباب لتلقي الدروس ايضا . كانت المنطقة تمر بفترة عصيبة فهي تعاني من المجاعة، ومن الحمى التيفودية. في وقت المجاعة صار « خباز » الدير محط انظار الناس . وأنبا الدير اخذ يبدي اهتمامه بكلمينس متيحا له فرصة الدراسة فى مدرسة الدير، بقدر ما تسمح له مهنته بذلك. ولم يكن كليمنس يتراجع امام صعوبة. فشرع يدرس بهمة عالية، وكان يحفظ كتبه فى المخبز وهناك ينكب على الدرس الى ان يغمض التعب عينه للنوم .

ولم ينس ان الدراسة ليست سوى عنصر ثانوي فى حياة الكاهن؛ فكان يعطي لزميل له يهتم بالدراسة اكثر من اهتمامه بالفضيلة، الملاحظة التالية : «من الافضل لك ان تصلي اكثر وتدرس اقل . »

توفي أنبا النوربرتيين، فانسدت امام كليمنس ابواب الدراسة الواحد تلو الاخر . ولم يكن هناك شخص ينتبه الى النار الروحية المضطرمة في قلب خباز الدير . واشتد ضرام هذه النار بحيث قذف بكليمنس علي سبل اخرى، بحثا عن طريق يدنيه من الله اكثر فاكثر .

نفرر ان يصير ناسكا . وبنى له منسكا من خشب بالقرب من كنيسة ميلفراون ، القرية القريبة من تاسويتس . لكنه لم يتمكن من البقاء هناك وقتا طويلا، لان الامبراطور يوسف الثاني اصدر قانونا ضد المناسك. ولم يكن هذا مانعا يوقف كليمنس عن مواصلة السير على الطريق الذي اختاره لنفسه. فراح يحج الى روما، ولمرتين متتاليتين زار المدينة الخالدة. واقام فى تيفولي الكائنة فى ضواحي روما ، حيث انزوى فى منسك ، ما نسيه قط ، لان الوقت الذي قضاه في الصلاة، ناسكا مختليا، انطبع فى ذهنه، تاركا لديه احلى الذكريات .

ولا نعلم بالضبط لماذا ترك تيفولي . ولا لماذا اقام فى فيينا . على الارجح هي الصدفة التي قادته الى هناك، اكثر مما هى خطة مرسومة. على كل حال نراه فى فيينا خبازا مرة اخرى وليس ناسكا . وهناك اقترح عليه صاحب المخبز، لشدة سروره به، ان يتزوج من ابنته، فيأخذ مع البنت، المخبز ارثا له. مهما كانت الاسباب التي دفعت كليمنس الى فيينا، لانجد شيئا فى البرود في حرارته الروحية، لان رغبته الكبرى كانت دائما ان يصير كاهنا. ولكنه لايدري كيف يصل الى غايته هذه. ولا يمكنه ان يقطع الطريق عنها بالزواج. فرفض مقترح صاحب المخبز شاكرا له لطفه .

وعلى غفلة من الزمن انفتح امامه باب الكهنوت على مصراعيه . ولم يتم ذلك صدفة . بل كان نتيجة منطقية لتوجه كليمنس فى حياته. فقد حركت طريقته فى العمل وتقواه سخاء مسيحيين اخرين نحوه . وانت حر ايها القارىء العزيز فيما لو اردت ان تسمي ذلك صدفة. لكنها صدفة الهية. فقد جرت الامور كما يلي : كان كليمنس في فيينا يذهب صباح كل يوم الى كنيسة القديس اسطيفانوس ويخدم القداس . وهناك جذب بتقواه انتباه ثلاث اخوات من عائلة نبيلة كن

يترددن الى نفس الكنيسة . ويتساءلن : ترى من عساه يكون هذا الرجل التقي ؟. وذات يوم حين اردن الخروج من الكنيسة توقفن عند الباب بسبب زخة مطر. وهناك التقى كليمنس بهن. وبعدما كلمهن راح تحت المطر ليجلب عربة، فجلس معهن، واخذ يقص عليهن ما له من خطط للمستقبل. ولم يخف عليهن رغبته فى ان يصير كاهنا، انما عليه الان ان يوفر النقود اللازمة للدراسة. فأجابت الاخوات انهن يتكفلن بدفع المصاريف. بعد فترة قصيرة سجل كليمنس اسمه كطالب فى جامعة فيينا. لكن الجامعة لم ترق للطالب الجديد. لان جوها الفكري لم يكن مناسبا لما كان ينتظره من جامعة كاثوليكية. لانها لم تكن لا فى خدمة الله ولا في خدمة الكنيسة . فقرر كليمنس الذهاب للدراسة فى روما. وكان له صديق زميل يدعى تداوس هوبل. وكان مريضا فى المستشفى حين اقبل كليمنس ليخبره قائلا : انا اسافر الى روما . هل ترافقني ؟ هوبل يرغب ذلك، بعدما شفي ... وبعدما يحصل على النقود الكافية للذهاب .

لقد شفي ولقي النقود . فبدأا معا الطريق سيرا على الاقدام ، من فيينا والى روما. بالنسبة الى كليمنس كان هذا سفره الثالث اليها .

٣ ـ راهب مخلصي :

في مساء يوم من ايام تشرين الاول سنة ١٧٨٤ وصل هوفباور ورفيقه الى روما. واتفق الصديقان على الذهاب نهار الغد للصلاة فى اول كنيسة يسمعان ناقوسها يقرع. فقادهما رنين الناقوس صباحا الى كنيسة القديس جوليانو الصغيرة. وقبل زمن قصير كانت هذه الكنيسة وديرها قد اصبحا مقر الرئاسة العامة لرهبنة المخلص الاقدس . لم يكن كليمنس يعرف الرهبان

المصلين فى الكنيســـة. بعـد القداس اراد الخروج، واذا باحـد اولاد الجوقــة يمر امامــه، فدعاه كليمنس وقال له : «من هم هؤلاء الابــاء؟ قال الولــد : « انهم رهبان مخلصيون . وانت ايضا ستنضـم اليهم ».

نظر كليمنس الى صديقه تداوس نظرة ملؤهـا التعجب والدهشه ... وبعد اربع وعشرين ســـاعة دخـل كلاهما الى قسـم الابتــداء .

كانت حياة الراهب المخلصي ملائمة جدا لكليمنس . فهو يحــب كثيرا روح الصــلاة هذا الذي يسـبق كل رسـالة، والرسـالة التـي تفضي لا محالــة الى صــلاة تأملية .

فى الابتداء لقي صعوبة واحــدة بسيطة وهي : كانت عادة الابــاء الايطالية تقضي بأن لا يتناولوا الطعام الا مرتين في النهــار، ظهرا ومســاء، فكان هو ابن الشمال يشــعر بالجوع طيلة الوقت. كما ان وجبــة الطعام الايطالية هي الاخرى ما كانت تكفيــه ليشــبع. وهوبل نفســه عانى من نفس الصــعوبة. فكان احيانا يمزح مع كليمنس اثنــاء الفرصة، فيقول لــه : «الم يكن من الافضل لك لو بقيت خبازا. كم انني اشتهي قطعة من تلك الخبزات اللذيذة التي تكلمت عنها البارحة» .

كانت مدة الابتداء قصيرة بصورة استثنائية لكـلا «الاجنبيــين» فبعد خمســة اشــهر ســـمح لهما ان يجاهرا بالنذور. وذهبا لتكملة الدروس اللاهوتيــة فى دير الاباء الكائن فى فروسينونه. وهنــاك ايضا اجتازا بسرعة مراحـل الدراســة. فما ان مضت سنة عليهما الا واقتبلا الرســامة الكهنوتية من يد مطران الاتــري. وكان ذلــك يوم ٢٩ اذار ســـنة ١٧٨٦. وكليمنس فى الرابعــة والثــلاثين من عمره .

٣ ـ فرصوفيا :

كان هدف كليمنس وهوبل تأسيس رهبنة المخلصيين خارج ايطاليا، في وطنهم الام. فسارا على طريق فيينا، وهناك راح كليمنس يشكر المحسنات الثلاث. الاانه كان غير ممكن تأسيس الرهبنة في النمسا، لان العرف القائم كان يقضي بأن الامبراطور هو الذي يملي القانون على الرهبان . ولهذا السبب ، غلق ستة وعشرون ديرا فى فترة وجيزة . فلا يجب التفكير بفتح دير جديد . لذلك قرر كليمنس وهوبل الذهاب الى بولونيا .

فى فرصوفيا التقى القاصد الرسولي المطران سالوزو على عاتق الابوين العمل بين الالمان المتواجدين بالالوف فى العاصمة البولونية دونما احد يهتم بهم ، لقد كانوا « نفوسا مهملة » .

لكن نشاط الرسول لم ينحصر فى الالمان فقط . فى تلك الاونة كانت بولونيا تجتاز مرحلة صعبة . فقد غطاها الروس والالمان ، وروس سوفوروف ايضا ، ثم كان دور فرنسا على عهد نابليون . فكانت بولونيا تتحمل حملها بصعوبة بالغة .

لاحظ كليمنس ان الشباب يعيشون حالة بائسة من الفقر والاهمال وما هذا سوى صورة واحدة للشقاء الشامل الذى كانت فرصوفيا تعاني منه في تلك الحقبة . لكن هؤلاء الشباب استقطبوا شيئا فشيئا انتباه الاب هوفباور . فى بادىء الامر آوى لديه عددا من الايتام . ثم ازداد عددهم كثيرا ، فاضطر الاب لفتح ميتم للبنين ، واخر للبنات . ثم شرع بفتح مدارس لهؤلاء الاولاد . وبعمل متواصل لدى علمانيين كان الاب كليمنس يجد الاشخاص اللازمين لتمشية مشاريعه بصورة جيدة . لكن الارادة

الصالحة لاتكفي اذا افتقرت الى المال . وكان للاب ثقة لا حد لها بالعناية الالهية . فيقول : بما ان الله أتاح لنا هذا العمل . فهو يضمن ايضا الوسائل الكفيلة لنقيام به حسنا » . فكان الله يرسل محسنين ، بكثرة . والبعض من هؤلاء المحسنين لهم احيانا طباع غريبة . . . نكتشف في سفاهتهم عفة النفس التي لرجل الله . ذات يوم دخل الاب كليمنس الى مقهى ، حيث كان عدة رجال يلعبون القمار . طلب منهم صدقة لايتامه . نظر اليه احد اللاعبين نظرة اشمئزاز لمقاطعته في اللعب . واخذ يسب الكهنة . ثم نهض بحدة وبصق فى وجه كليمنس . مسح القديس وجهه ثم قال بهدوء : « هذا ، كان لي . والان اعطني شيئا لايتامي الفقراء ! » ناعطاه الرجل صدقة كبيرة .

انضم الى راهبينا هذين المخلصيين طلبة آخرون ، وها هم الان قد اصبحوا ثمانية . منعت الحكومة الرسالات من قرية الى اخرى ، تحول هوفباور والاباء الذين معه الكنيسة الوحيدة المعطاة لهم ، وهي كنيسة القديس بنو ، الى «رسالة مستمرة» . ان النشاط الذى قام به المخلصيون الاوائل في فرصوفيا كان جديا ومحسوسا . فمنذ الصباح الباكر يعطى درس في التعليم المسيحي باللغة البولونية للموظفين في فرصوفيا ، يعقبه قداس والحان بولونية . بعد ذلك يلقي احد الاباء موعظة دسمة بالبولونية. بعدها يقام قداس اخر . ثم كرازة ثالثة بالالمانية يلقيها عادة القديس كليمنس نفسه ويشرح فيها رسالة الاحد الماضي ، لحوالي ٢٠٠ طالب وشخص من المثقفين . في الساعة الثانية بعد الظهر يتلى فرض العذراء مريم بالالمانية ، بعده موعظة رابعة بالالمانية . عقب ذلك ياتي بولونيون لسماع وعظة خامسة . وكان يختم النهار ببركة القربان الاقدس ، وصلاة الرمش ، ورتبة درب الصليب ، وفحص الضمير . هذا كان نشاطهم يوميا ،

دون استثناء . اثناء الصلوات كانت منابر الاعتراف محاطة بالناس . وبعد وقت قصير بلغ عدد التناولات ... ١٠٠ فى السنة .

كان كليمنس يحلم بفتح مراكز اخرى مثل مركز القديس بنـــو . فانطلق يتجول في المانيا ، وسويسرا وفرنسا ، والنمسا والى روما ، مؤملا تأسيس بيوت تابعة لرهبنته . في المانيا مثلا تمكن من فتح ثلاثة اديرة .

في عودته الى القديس بنو ، حضر هوفباور وفاة لاب هوبل (سنة ١٨٠٧) . لقد عاشا سوية لمدة ٢٥ سنة ، عقب تلك الوفاة باشهر ، كتب كليمنس يقول : « انا متأكد من ان الاب هوبل هو الان في السماء . ولكني غالبا ما لا استطيع السيطرة على الحزن الذي يحز في نفسي ، ولا اريد الا ارادة الله ، واقر ، رغم ذلك ، انني بعد وفاته ، لم احظ بساعة واحـــدة ســـعيدة » .

وكانت كارثة اخرى بانتظاره . فقد قدمت شكاوى ضدهم . علـى اثرها كتب نابليون الى وزيره للعلاقات الخارجية يقول : « يجب تقديـم الطلب بطرد رهبان فرصوفيا .. لانهم انبعاث لليسوعيين » (تاريـــخ الرسالة ٢٥ـ٥ـ١٨٠٨) بعد ذلك بينما الدير والكنيســة مزدحمـــين بالناس ، طوقهما الشرطة والجنود ، والابواب موصدة ، وجرت تفتيشات واستجوابات عديدة . ثم اقتيد الاباء والاخوة على عربات خارج فرصوفيا تحت حراسة مسلحة . وسجنوا فى قلعة كوسترين ، بعد شهر فصـلوا بعضهم عن بعض ، على ان يعود كل واحد الى موطنه .

توقف العمل في مركز القديس بنو . والغيت رهبنة المخلصيين . اما القديس كليمنس المستشهد ، فقد توجه الى فيينا .

٤ ـ فيينا .

نحو نهاية سنة ١٨٠٨ وصلَ هوفباور الى المدينة المألوفة لديه كثيرا . فبدأ رسالته في الكنيسة الايطالية،والمستقبلُ مجهولٌ امامه تماما. بعد فترة ما عينه المطران سيغسموند معرفا لراهبات القديسة اورسلا ومسؤولا عنهن ، وها هو الان يكرز في كنيسة الدير . فعرفه الناس بمواعظه القوية ، الصادرة عن قلب يتقد غيرة لملكوت الله . فكان يقال في فيينا : « هل تريدون ان تسمعوا واعظا مفوها ، فاذهبوا الى الكنيسة الطلانية ، ولكن لسماع واعظ رسول ، اذهبوا الى كنيسة القديسة اورسلا »

حتى الراهبات انفسهن كانت تهزهن نبرة رئيسهن الحارة المشبعة غيرة سماوية ، فكن يتذكرن دائما القول المشهور للقديس كليمنس القائل :« احبذ سماع اعتراف الجيش النمساوي برمته، ولا اريد سماع اعتراف راهبة فاترة». على اثر هذه المواعظ جرت اهتداءات مرموقة : فقد صرح رئيس مجلس الدولة ، السيد نوربرت فون بوركهارت انه كان يعرف العديد من رجال علماء ومثقفين ما كانوا يهتمون بالديانة ووصايا الكنيسة ، لكنهم وجدوا الايمان بسماعهم مواعظ الاب هوفباور . ولكن كيف اتاه ، فجأة ، من قبل جهات حكومية ، امر رسمي يمنعه عن القاء المواعظ ! حين قرأ كليمنس الامر الصادر بحقه ، سالت دموعه . وفي يوم الاحد التالي ، بعد تلاوة الانجيل، قال للحاضرين: «انني لا استطيع الوعظ ، لانه ممنوع عني . اثناء القداس ساطلب من الروح القدس ليضع في قلوبكم ما اردت ان اقوله لكم » . ولم تمض ايام قليلة الا والغي الامر .

كان هوفباور يقضي ايضا ساعات طويلة في منبر الاعتراف . ليس فقط في كنيسة الراهبات ، بل وفي كنيسة اخرى حيث كان يذهب مرتين في الاسبوع . وكان كثير من الشباب يعترفون لديه في

غرفته مساء . بعده تجري فيما بينهم احاديث طويلة ، على انفراد ، او فى جماعات صغيرة .

وكان طالب شاب يتعجب من قدرة هوفباور على معرفة ما في القلوب والافكار . فيقول بصوت خافت : لعل الاب هوفباور قديس .

بالحقيقة كان القديس تأتيه دوافع غير متوقعة . ذات مساء كان فى نزهة مع طلابه . مر بهم رجل واجتازهم . فقال الاب للطلاب: « قفوا هنا قليلا » . فحث الخطى خلف الرجل ، وقدم له التبغ ، واخذ الاثنان يتجاذبان اطراف الحديث. فقال له الكاهن : يبدو انك مغموم ... فاقر الرجل بانه ينوي القاء نفسه في الماء ليموت غرقا . وفى نهاية الحديث تخلى عن فكرة الانتحار .

ترى من اي صخر جلمود كان قد قد هذا القديس ؟ تحت شعار: «كل شيء لمجد الله» فجر الاب نشاطا زخما شمل كيانه كله . فالله وحده هو شغله الشاغل . وثقته بالله لاتعرف الحدود . هذه الثقة كانت تهتز لها الجبال . ان التناقضات والالام المتأتية من عقلية زمانه السياسية الدينية اكتشفت فيه تسليما خارق العادة لارادة الله فى حياته . كان روح الصلاة لديه يبلغ ذروته اثناء القداس . فهو يقيمه بانتباه بالغ ينسيه كل شيء اخر . وكان تعبده العميق للعذراء مريم يكمل روح الصلاة هذا . في طريقه الى زيارة المرضى ، كان كليمنس يتلو سبحة الوردية . وكان يطيب له ان يسمي سبحته « مكتبتي » .

وقد استمر ايضا على العادة التي تعلمها فى الابتداء وهي تناول الطعام مرتين فى النهار لاغير .

كان عصبي المزاج واحيانا غضوبا. ورغم تقدمه فى العمر لم يكن دائما يسيطر على اعصابه . وكان يقول : «انني اشكر الله الذي سمح ي بهذه الحيوية وهذه العصبية لانها تنبيه دائم لي لاكون متواضعا ، وتقيني من التكبر» . ومع ذلك ، فأن الجهد الذي كان يبذله للسيطرة على مزاجه كان هو الاخر علامة على انه لايريد العمل الا «لمجد الله» . في حالة الفوار ، كان يحاول ان يسكت ، او يذهب بعد ذليل معتذرا من الشخص المعني .

ان القداسة ليست سوى النعمة التي يمنحها الله مجانا . وعلى الانسان ان يعلن استعداده لتقبلها . عليه ان يفتح قلبه لله ، ويعطي ذاته لله . هذا ما كان يفعله القديس كليمنس هوفباور دون تحفظ .

كان هناك تجربة اخرى قاسية بانتظار الاب القديس . لم تكن رهبنته معترفا بها في النمسا . فالناس الذين ما كانوا يرغبون فيه كانوا يكتبون لافتات ضده تقول : انه ينتمي الى مؤسسة غير مشروعة . انه جاسوس . على اثرها جرى تفتيش بيته تفتيشا دقيقا قلبه رأسا على عقب ، بما فيه من كتب وخزانات وثياب وغيرها . والمفتشون يسألونه : قل نعم ام لا ، هل انت مخلصي ؟ اذا قلت نعم ، فغادر النمسا، او اترك رهبنتك » . فرض على كليمنس توقيع وثيقة بمغادرة النمسا . بعد التوقيع دمدم الموظف الحكومي مع نفسه قائلا : «هوذا قد انتهى كل شيء وقضينا على المشكلة ! » فأردف كليمنس : « كلا يا سيد ، لم ينته كل شيء » ــ هل قد بقي شيء اخر ؟ ــ نعم ، لقد بقي حكم الله الاخير ! » ولكن كان هناك مدافعون ايضا . فان المطران تدخل لدى الامبراطور متوسلا ان لا يطرد احسن كاهن فى ابرشيته . تأسف الامبراطور على ماجرى ، قائلا : لقد اساؤا العمل مع الاب هوفباور المسكين . ماذا استطيع ان اعمل من اجله ؟

ـ سيدي ، اسمحوا له بتاسـيس رهبنة في النمسا . فامر الامبراطور
فرنتس الاول بتهيئة معاملات الاعتراف الرسمي بالرهبنة .

في هـذه الظروف الحسـنة التي اتاحها الامبراطور ، كـان الاب
كليمنس مريضا ، وله من العمر ٦٩ سـنة ، وكم كان فرحه لـدى سماع
هذه الاخبار السارة . وفي مسـاء الخامس عشر من شهر اذار سـنة
١٨٢٠ صـدر القرار الرسمي باجازة الرهبنة . لكن هوفباور كـان قد
توفي ظهرا ، على دقات ناقـوس السـلام الملائكي . هنيئا لابن القديس
الفونـسي .

ادرج اسم كليمنس ماريا هوفباور في قائمة القديسين من قبل
البابـا بيـوس العاشر يوم ٢٠ ايار سـنة ١٩٠٩ .

انه شـفيع القضايا الميئوس منهـا .

العيـد : ١٥ اذار

(٣) القديس جيراردس مايلا (١٧٢٦ ـ ١٧٥٥)

١ ـ ايام الشباب :

كان دومنيكو مايلا والد القديس جيراردس خياطا . وهذه المهنة لم تكن مربحة ، لكنها تأتيه بوارد يكفي لحاجات العائلة المكونة حينها من الوالدين وثلاث بنات ، وقد توفي لهم ولد اخر بعد ساعات من ولادته . وفى السادس من شهر نيسان سنة ١٧٢٦ ولد جيراردس . العائلة مقيمة فى قرية مورو المحاطة بالجبال في جنوب ايطاليا (وكانت حينذاك مملكة نابولي هي الحاكمة) .

كانت والدته بنديتا تأخذه معها الى الكنيسة . وفى البيت كان جيرادس الصغير يرتل الالحان التي سمعها فى الكنيسة . وينتظم مع رفاقه في طوافات مماثلة لما يجري فى الكنيسة . ويلتهي احيانا بنصب مذبح صغير فى البيت ، واضعا فوقه شموعا صغيرة يوفرها له الساعور ، وهو من اقرباء العائلة . ويزين جيراردس المذبح بتماثيل صغيرة ، يتوسطها القديس ميخائيل دائما .

كانت رغبة جيراردس شديدة في التناول ، لكن سنه الثامنة لا تسمح له بذلك ، لان العادة المتبعة فى ذلك الوقت كانت تقضي بأن لا يعطى التناول قبل السن العاشرة . فى صباح يوم ما ، اثناء القداس لاحظ جيراردس الكاهن ينزل من درج المذبح لاعطاء التناول ، وهو بعينيه السوداوين يرقب صينية القربان . والكاهن يناول هذا وذاك ، وجيراردس يشتهي تناول البرشانة . وهو يعرف ان ذلك غير مسموح له الان ، وعليه ان ينتظر لمدة سنتين . لكن الافكار ازدحمت فى راسه مسرعة اكثر فاكثر ، وبلغ منه الحماس مبلغه . فنهض حالا وترك

مكانه وسجد على مقعد التناول . دنا الكاهن منه فعرفه انه جيراردس الصغير . فعبره لان وقته لم يحن بعد .

قام جيراردس متباطئا ، وقلبه يعصره الحزن ، وعاد الى مكانه وقد غطت الدموع خديه الحمراوين . لان الكاهن منع عنه الرب يسوع .

في مساء ذلك اليوم حظي حب جيراردس ليسوع بمبتغاه . قبل النوم ، ركع في غرفته يتلو صلاة قصيرة ، واذا بالملاك ميخائيل يدنو منه ، وبيده صينية القربان ، فناوله ثم غاب بين القديسين . شعر جيراردس بسعادة لاتوصف . انه يحب يسوع ، ويحبه كثيرا جدا .

كان عمر جيراردس ١٢ سنة حين وفاة والده . ولكونه الابن الوحيد ، فقد وقعت عليه مسؤولية العائلة . ورأت والدته انه مضطر لتعلم مهنة والده بأسرع ما يمكن لينزل الى ميدان العمل والكسب ، فلحق بخياط ممتهن يدعى مارتينو بانوتو . بدت على الشاب الصغير علامات الجدارة والحرص الدقيق في العمل . ولكنه احيانا يتأخر كثيرا في الوصول الى المحل . لانه ينسى نفسه في الكنيسة . واثناء العمل ايضا تتوقف ابرته من وقت لاخر ، لان فكر جيراردس شارد في مكان بعيد . انه في حالة صلاة تأملية . بانوتو يغمض شخصيا عن جيراردس ولا يقول شيئا عندما يسترق جيراردس ساعة من هذا «الوقت الضائع» . اما موقف مساعد الخياط فلم يكن كذلك . فهو يستخف بهؤلاء الناس عديمي الجدوى الذين دابهم الصلاة لاغير . فغالبا ما كان يضرب جيراردس والولد لايبدي اي اعتراض . لانه يفهم راي مساعد الخياط القائل : المحل هو للعمل ، وليس للصلاة . فكان جيراردس يحاول تحمل الم الضربات مع يسوع المتألم . وذات يوم ضربه ضربات قاسية مستعملا عصا من حديد . فرأى بانوتو انه بالغ الى حد الافراط . فطرده من المحل .

غالبا ما كان الشغل يتواصل في المحل الى ساعة متأخرة من الليل . وفى تلك الايام ما كان جيراردس يعود الى البيت . بل يبيت لدى الخياط . ولوحظ انه ينام متمددا على الارض ، وليس في المنام . ولما قيل له لماذا ، اجاب انه بهذه الطريقة ينام احسن .

لا تستغرب ان روح الصلاة هذا واماتة الذات ، جعل جيراردس يفكر فى الدخول الى الدير . فراح يطرق باب الكبوشيين ، حيث كان عمه راهبا . راوه شابا ضعيف البنية ، شاحب اللون ، وصغير السن ، فلم يقبلوه .

بعد ٤ سنوات من التأهيل للعمل ، رأى بانوتو ان جيراردس قادر على فتح محل خاص باسمه . وتوقع الخياط الشهم ان اشغال جيراردس ستحظى بمال وفير . لكن جيراردس لم يكن يفكر قط بمصلحة مرموقة ، وعمره الان ١٦ سنة . الا انه قد بلغ الى مستوى روحي رفيع من الاتحاد بالله جعل ان تكون رغبته الوحيدة خدمة ملكوت الله . فبينما كان الجميع ينتظرون منه ان يواصل مهنة والده : فاجأهم بالقرار الذي اتخذه ، وهو الخدمة لدى المطران كلاوديو البنيي ، اسقف لاتشيدونيا ، الذي كان قد منحه قبل سنتين ، سر التثبيت المقدس يوم ٢٥ حزيران سنة ١٧٤٠ .

حذره اصدقاؤه قائلين : هذا المطران انسان لا يمكن تحمله ! ولا احد يستطيع العيش معه اكثر من اسبوعين . فكل شيء لديه اما حار جدا او بارد جدا ، اما جدا الى اليسار او جدا الى اليمين ، مستعجل جدا او متأخر جدا ...

لعل هذه الاسباب بالذات هي التي حركت جيراردس الى اتخاذ قراره . فالمطران لكونه حاد الطباع ، كان رجلا متروكا . فأراد

جيراردس ان يساعده ، متقبلا المعاناة التي تاتيه منه . فهو لا يتجنب الالم . بل ان ذلك يساعده ليتشبه اكثر فاكثر بالمسيح المتألم . ثم ان جو الدار المطرانية يعوض له قليلا عن الدير الذي منع عنه . كان في الدار معبد صغير . وهناك يسكن جيراردس قريبا من يسوع المصلوب .

بالحقيقة كان المطران رجلا حاد الطباع ، يتحمل منه خادمه الجديد توبيخات قاسية ، وتعليقات مرة ، ومعاملة خشنة . لكن جيراردس استمر على خدمته . والاقاويل التي كانت تطلق حول تصرفات المطران ما كانت تحظى بعد بنار على حطب . هل لان صاحب السيادة قد تبدل ؟ ان البعض بفضوليتهم كانوا يحاولون استقاء بعض الاخبار من جيراردس ، فيجيبهم : سيدنا يحبني ، وسابقى معه طالما بقي حيا .

ومع ذلك ، كان جيراردس نفسه يحبس انفاسه احيانا لدى تفكيره في حالة الاسقف . وحالة من هذا النوع صارت سببا لاحداث خارقة العادة اتسمت بها حياة القديس جيراردس . ومنها الحادث التالي :

ذات يوم وفي الصباح الباكر ، غلق جيراردس ابواب المطرانية ، وراح ليستقي ماء من بئر المدينة . تزحلقت مفاتيح الدار من جيبه وسقطت في البئر . والان كيف يدخل الدار ؟ وماذا يقول للاسقف ؟ فجاة توجه راكضا نحو الكنيسة ، ثم خرج مسرعا وبين يديه تمثال صغير ليسوع الطفل . وصل الى البئر ، وشد الحبل حول التمثال وانزله الى الماء . بعض الناس راوا المفاتيح تقع في البئر ، والبعض الاخر شاهدوا جيراردس يركض ، فدفعهم الفضول نحو البئر ، وهم لا يصدقون ما ينوي جيراردس القيام به . ثم انكشف ما فكر به وما اراده . فعندما سحب التمثال المبلل بالماء ، شاهدوا يسوع الطفل والمفاتيح بين يديه .

سنة ١٧٤٤ توفي المطران فعاد جيراردس الى مورو .

٢ ـ راهب مظطمي :

ذهب جيراردس مرة ثانية يطرق باب الكبوشيين ، ولكن بدون جدوى ايضا . لان مظهره الطبيعي لم يتحسن . فما عليه الا العودة الى بيته الوالدي . بعد اشهر من التدريب لدى الخياط فيتوس منونا هذه المرة ، تمكن من مباشرة العمل في مهنته السابقة ، وتحصيل شيء من النقود فتح بها محلا للخياطة في البيت . وما ان مضى وقت قصير الا واشتهر بكونه رجلا ممتهنا دقيقا ومنتبها في العمل ، وخاصة ذا ضمير حي . اسعاره مقبولة من الجميع ، وللفقراء منهم سماح خاص .

كان هذا السماح خاصا احيانا . في يوم ما دخل المحل رجل فقير بيده قطعة قماش ، وطلب منه ان يفصل له بدلة . لاحظ جيراردس بنظرته الدقيقة الصائبة ان القطعة لا تكفي لبدلة ، لكنه لم يقل شيئا . بل اخذ القياسات ، وبدأ يقص القماش ويقلب ، ويجرب ويطوي ويخيط ، فاذا بالبدلة جاهزة بين يديه . وقد فضل منها وصلة صغيرة سلمها لزبونه .

« الله يوفر » هذا كان شعار جيراردس .

سنة ١٧٤٩ تهيأت له فرصة جديدة لتحقيق دعوته الرهبانية . لكن جيراردس هذه المرة لم يتراجع . فقد قدم هذه السنه الاباء المخلصيون للوعظ في كنيسة مورو ، ولم يمض على تأسيس رهبنتهم سوى ١٧ سنة ، لكن شهرة الاباء انتشرت في جنوب ايطاليا ، والرسالات التي كانوا يقومون بها ، كانت تصبح حوادث تبقى على السنة الناس لمدة طويلة في القرية . وكان الاب كافارو رئيس هذه الرسالة في مورو . جيراردس يحضر لسماع المواعظ التي كانت تلقى باسلوب بليغ ولهجة فصيحة . وطريقة الاباء في معشيتهم بسيطة جدا . هذه كلها اكسبت جيراردس يقينا لا يتزعزع ،

فاراد مرافقة الاباء اثناء رسالاتهم ، شأنه شأن غيره من الاخوة غير الاكليركيين . وهناك فقط يمكن ان يصير راهبا . لكن موقف الاب كافارو منه كان سلبيا مثل موقف الكبوشيين : « لان جيراردس ليس له القابلية الجسمية ليصير راهبا » .

في هذه الاونة قامت والدة جيراردس نفسها بزيارة رئيس الرسالة، فقد احست بهدف ابنها من محاولاته هذه ، وهي لا تؤيده فيه ، فراحت تسرد امام الاب كافارو ما لديها من حجج : فهي ارملة، واخوات جيراردس بحاجة الى معيل ، وصحة ابنها ضعيفة . لكن الاب ليس بحاجة الى هذه الاسباب اره واضح بخصوص جيراردس ، ولا عودة عنه ، فلا يهم لو قال لوالدته ان طلب جيراردس مرفوض منذ البداية ، واضاف قائلا : « سيدتي ، يبدو ان ابنك يريد اتباع هذه الدعوة التي ليس مؤهلا لها . يا ليتك ، يوم سفرنا ، تغلقين عليه الغرفة » .

سرت بنديتا بهذا الخبر ، وبموقف الاب كافارو الحازم ، ويوم سافر الاباء غلقت الغرفة على جيراردس بالمفتاح .

سافر الاباء منذ الصباح الباكر ، فظنت بنديتا انها تستطيع فتح الغرفة وقت الظهر . طرقت الباب ولم تسمع اي جواب . دخلت فرات الغرفة فارغة ، وشاهدت شراشف المنام مشدودة الى الشباك بشكل حبل . لقد فر جيراردس . وعلى المنضدة قصاصة من ورق عليها هذه الكتابة : « ذهبت لاصير قديسا ، لا تفكروا في بعد » .

في هذه الاثناء لحق جيراردس بالاباء الذين راحوا الى قرية اخرى للقيام برسالة جديدة ـ وحاول من جديد . والاب كافارو يكرر عليه : لا ! لا ! وجيراردس يردف : اختبرني على الاقل ، هذا ما اريده الان . واذا لا ترضى عني ، اطردني » .

الجواب : لا ! لا ! . . مشى جيراردس يتتبع الاباء . وبدات الرساله الجديدة . ولكنه لم يترك المكان الذي اقام فيه الرهبان . فقال لهم : « اذا لا تقبلوني ، ستروني كل يوم مع الفقراء استعطي خبزي على بابكم » .

واخيرا انحنى الاب كافارو امام الثبات المثير الذى ابداه هذا الخياط الصغير . فارسل جيراردس الى رئيس دير ايليتشيتو حيث يقيم المبتدئون المخلصيون ، ومعه رسالة غير مشجعة ، نقرأ فيها : » ارسلت لك اخا لا منفعة فيه للعمل ، لانه ضعيف البنية ، ورغم ذلك قبلته مضطرا ، نظرا الى الحاجه ، والى سمعته الحسنة التي يتمتع بها في مدينة مورو » .

٣ ـ القديس وعجائبه :

عاش جيراردس راهبا مخلصيا لمدة تزيد على ست سنوات بقليل كانت مليئة بعجائب خارقة ، فأن العديد من المرضى نالوا الشفاء بمجرد لمسة من يده ، والطعام كان يكثر عند الحاجة اليه . وقوانين الطبيعة كانت تقف باشارة منه ، وكان يقرأ المستقبل وكأنه فى كتاب مفتوح . ويكشف الضمائر المنغلقة ، بتفاصيل دقيقة ترعب الاثمة وتعزي الحزانى وغالبا ما كان ينخطف بالروح امام شهود يستحقون التصديق .

كما ان ادراكه العميق لاسرار الايمان لم يخف على احد . كان اساقفة كثيرون يستشيرونه في قضايا مهمة ، واساتذة فى اللاهوت يعرضون عليه حالاتهم الاكثر تعقيدا . وجيراردس لم يدرس قط .

هل لدينا مفتاح لنفهم جيدا هذه العجائب التي لكثرتها لا يوجد قديس اخر يستطيع ان ينافس القديس جيراردس على هذا الصعيد واعني بها العجائب التي جرت ، والقديس باق على قيد الحياة .

قد يكون لنا مفتاح بهذا الشأن . ان العديد من هذه العجائب تتسم بطابع صبياني تشهد له العجائب الاولى التي اجراها جيراردس فى صباه . لذلك ، نلاحظ ان القديس كثيرا ما كان يقال عنه انه «مجنون» وهذه ايماءة الى ان اقواله وافعاله لم تكن دائما في المستوى الذى ينتظره الناس من شخص بالغ . اعتقد ان جيراردس حافظ ، اختياريا ، على بساطة طفل امام الله . وغالبا ما لا يكون بعد كبير بين «جنون» رجل بالغ ، وبراءة طفل بسيط . فكان جيراردس ، طفل الله ، يرى امرا معقولا ، ما يعتبره غيره جنونا . ان الله يصنع عجائب ، وهذا امر اعتيادي فى نظر جيراردس . فلا يخشى من ان يطلبها . والكثير من هذه العجائب يمكن تفسيرها ، بدون ادنى شك ، لكننا نرى فيها نعمة الله . وعن غيرها يرد السؤال : هل هذا ممكن ؟ نعم ، لان نعمة الله تلعب فيها دورا حاسما اكثر !.

ثم ، ان جميع المسيحيين الذين يطلبون من الله لنيل نعمة شفاء ، او نجاح فى عمل ، او ولادة طفل سارة . . . ماذا ترى ينتظرون فى نهاية الامر ؟ الا ينتظرون بالضبط ، دخول نعمة الله في حياتهم ؟ وما هو القياس الدقيق لهذه النعمة التي يجرؤون على توقعها من الله ؟ ان الصلاة تضعنا على طريق الخالق السرية الخفية عنا . فلا نستغرب كثيرا اذا كان بعض القديسين ـ مثل القديس جيراردس ـ قد قطعوا شوطا بعيدا على هذه الطريق التي لانضع نحن عليها الا الخطوات الاولى المترددة .

ولنا مفتاح اخر ، ضروري كالاول ، للوقوف عن كثب على عجائب جيراردس . انه رجل الله . فى الانجيل يقول الاعمى الذي شفاه يسوع : « نحن نعلم ان الله لا يسمع للخطاة . اما من يخشى الله ويعمل مشيئته ، فذلك من يستجيب له . ولم يسمع قط ان احدا فتح عيني من ولد اعمى . فلو لم يكن هذا الرجل من الله ، لما استطاع ان يفعل شيئا » (يوحنا ٩ : ٣١ ـ ٣٣) .

تميزت حياة جيراردس الروحية فضلا عن ميزاتها الاخرى ، بتعبده للمخلص المصلوب . منذ صباه كان جيراردس يعاني من الآم في جسده . الم تكن هيئته الخارجية سببا لرفض طلبه فى الدخول الى الدير ؟ . وقد توفي بمرض السل . الى هذه الالام الجسدية كان يضيف اماتات ارادية ، اقتداء بيسوع المصلوب . بل كان يشتهي ان يكون لهذا الاقتداء سمات خارجية شبيهة بالآم المسيح . فيبحث عن الجلد الحقيقي ، والتكليل بالشوك ، بل والصلب ايضا . ومع مضي الزمن اضحت هذه الرغبة حقيقة واقعية في الروح. فكل يوم جمعة كانت تنتابه حالة من الاحتضار ، فيشعر فى نفسه بألم لا يطاق متصورا ان الله قد تخلى عنه . وعلى فراش الموت عاش جيراردس مرة اخيرة مشهد الآم مخلصه . فكان يصرخ ويتلفظ بصلوات بين حين وآخر تدل على انها ساعات المحتضر الذي يعاني سكرات الموت .

لقد كان الصليب ، ينبوع النعمة هذا ، الاساس لعجائب جيراردس. وبما ان العجائب جزء تنطوي عليه حياة جيراردس ، نذكر منها اثنين على سبيل المثال .

ذات يوم كان جيراردس في دير الآباء المخلصيين الكائن فى نابولي ، واذا بطارق على الباب ، فتحه جيراردس نفسه ، فلقى رجلا مبعوثا من قبل دوقة مادالوني ، ارسلته فى طلب الاخ جيراردس ليقوم بزيارة لها . راى جيراردس ان الزائر لا يعرفه فقال : « لا ادري لماذا يركض الناس خلف هذا الاخ . انه خفيف العقل . ارجو ان تطلع الدوقة على ذلك » .

لم يخف الكلام عن الدوقة . لان جوابا كهذا لا يمكن صدوره الا عن جيراردس نفسه . فأقبلت فى صباح اليوم التالي الى الكنيسة ، واثقة من انها تلتقي جيراردس هناك . فقالت له : « طلبتك لتأتي وتشفي ابنتي المريضة » فأشار جيراردس الى بيت القربان قائلا : « هذا هو الذي يصنع

العجائب ويمنح النعم ، وليس انا » . لم تعترض الدوقة على قوله ، لكنها تمنت أن يتشفع جيراردس لها فقالت : « عدني على الاقل ، ان تصلي من اجل ابنتي » . وافق جيراردس على طلبها ، وبعد زمن قصير تحسنت صحة ابنتها .

وقت المجاعة التي اصابت كابوسيلي ، كان جيراردس يوزع الطعام والثياب على اكثر من ١٠٠ شخص ، دون ان تنفد الكمية المذخرة. وما من احد يعرف من اين كانت تأتي تلك المعونات ، سوى الله وحده وجيراردس لا غير . وكان جيراردس يلاحظ ايضا لدى هؤلاء الفقراء حاجة مستميتة الى معنويات روحية لما لاقوه من تعاسة ويأس . فبعد توزيع الطعام عليهم ، كان جيراردس يأخذهم الى الكنيسة ، وهناك امام مغارة الطفل يسوع ، يحدثهم عن مولده في بيت لحم . فنحن هنا ازاء عائلة فقيرة ، مقيمة في مغارة باردة ، لم يقبل احد ان يأويها لديه . ورغم ذلك ، نجد السعادة مشعة على وجه مريم ويوسف والطفل يسوع . وسعادتهم باطنية ، تصدر من ايمانهم وثقتهم بالله ومحبتهم له .

في بعض المناطق يتخذ جيراردس شفيعا بصورة خاصة للامهات الشابات . ومن جملة الحوادث التي جذبت اليه هذا الاكرام هو الحادث التالي . ذات يوم ، نسي جيراردس منديله على كرسي فارادت ابنة شابة ان تعيده اليه . فقال لها : « احتفظي به ، انه سينفعك في يوم ما » . فلما تزوجت وحان وقت وضعها ، كانت الولادة عسيرة يهددها خطر الموت . فتذكرت المنديل ولمسته ، وللحال شعرت براحة تامة . بعد هذه الحادثة ، كثير من الامهات الشابات حظين بشفاعة القديس جيراردس .

لما دخل جيراردس الدير ، ترك لاهله ورقة كتب عليها : « اني ذهبت لاصير قديسا » . ان الله هو الذي يجعل الانسان قديسا . فالقداسة عمل

النعمة الالهيــة . لكن الانسان يستطيع ان يطلب هذه النعمة ، ويمكنه ان يكون مستعدا بحيث تقع فيه كل نعمة من الله ، وقوعها فى « ارض جيدة » تعطي ثمارا ، الواحد ثلاثين وستين ومئة . كان جيراردس متمســكا بمبدأ واحد ليصير قديسا ، دون ان يترك السبيل الذي اختاره لذلك ، وهو ان يعمل ارادة الله ، دائما وفى كل شيء . فمنذ دخوله الى رهبنة المخلصيين ، كانت ارادة الله بالنســبة اليه هي تكميــل قانون رهبنتــه . والقديــس جيراردس صار قديســا بمطابقة حياته لهذا القانون .

ان كل حياة رهبانية قائمة على النذور الثلاثة وهي : نــذر الفقر ، والطاعــة والعفة . وكل رهبنة يحدد نظامها طريقة تطبيق هذه النذور .

كيف عاش جيراردس هذه النذور ؟ يمكننا معرفة ذلــك من قصص جــرت في حياتــه .

الفقــر :

لقد عمل جيراردس الكثير من اجل الفقراء . وكــان لرؤســائه ملء الثقة بــه فى هذا الشأن . حتى انه لم يكن بحاجة الى طلب السماح لعمل شــيء او تقديم مســاعدة للفقراء .

اما بشأن اموره الشخصية ، فقد اختار جيراردس العيش في فقــر شديد . فصومعته لا شــباك فيها . سريره عتيق ، مع كرسى مستهلك . والثياب يكتفي بالضرورية منها فقط ، والتي شكلها فقير حقا .

فى يوم ما كان سائرا على الطريق المؤدي الى ديره فى ايليتشــيتو ، فصــادفه احد قطاع الطرق ، واخذ ينظر الى قبعة جيراردس الباليــة ، وردائه المرقــع ، وحذائــه العتيق ، ظانا انه رجل من شاكلتــه . فلحق بجيراردس . وبلهجة خفية قال لجيراردس : « ان كنت تريد البحث عــن كنز ، فحاول أن تجد عندي ما تريده ، انا مستعد » بعد نصف ساعة مــن

الحوار طلع الرجل بما لم يكن يتوقعه . فشرع يتأسف على حياته الماضية نادما تائبا . ثم اراه جيراردس الصليب الذي كان يحمله حول عنقه وقال له : هذا هو الكنز الذي تبحث عنه .

الطاعة :

منذما دخل جيراردس دير الابتداء، قرر ان يطبق القانون بحذافيره. ويقول احد بنود قانون الرهبنة : على الراهب ان يطيع لاول اشارة . فذات يوم كان جيراردس في قبو الدير ، وبيده جرة يملأها خمرا . واذا به يفاجأ بجرس الدير يدعو الاخوة للصلاة في المعبد . فصعد حالا من القبو ليذهب الى المعبد ، ولاحظ البعض ان حنفية دن الخمر بيد جيراردس وعلى الفور نزل احد الاخوة الى القبو ، فرأى ان الدن لم تجر منه نقطة واحدة من الخمر .

عندما كان جيراردس يقع مريضا ، كثيرا ما كان رؤساؤه يأمرونه امرا بالشفاء ، فيشفي نفسه مطيعا لهم .

ولوحظ في حياته ايضا ، انه كان يطيع لرغبة صادرة من رؤسائه عن بعد ، مثلما دعاه رئيسه ذات مرة بالفكر ، ليأتي من ايليتشيتو الى ملفي ، واذا بجيراردس يقوم متوجها اليه .

العفة :

لقد ساعد جيراردس بنات عديدات في اتخاذ القرار للدخول الى الدير . ومن ضمنهن شابة تدعى نيريا كاجانو ، تلك التي بعد فترة ما رأت انها ليست مدعوة الى الحياة الرهبانية ، فعادت الى البيت . ولكي لا تلقى ملامة من الناس ، وتبريرا لتصرفها هذا ، راحت تطعن بالراهبات ، ملقية عليهن مختلف التهم والاكاذيب . لكن الناس ما كانوا يصدقونها ، بل كانوا يقولون لو لم يكن هذا الدير جيدا ، لما ارشدها جيراردس

للدخول اليه . فاخذت الابنة التعيسة تتهم جيراردس بخطايا ضد العفة. وكانت تحوك اقوالها بدقة متناهية ، ذاكرة في تلك التهم التواريخ والاماكن والظروف . وقد قدمت شكواها ضد جيراردس فى رسالة وجهتها الى القديس الفونس مؤسس الرهبنة . لا بل وتوصلت الى اقناع مرشدها الروحي ، فأيد اقوالها بملاحظة من عنده . لم يقتنع القديس ألفونس بصحة تلك التهم . وفكر بانه لا يخلو احد من الاخطاء . فاستدعى جيراردس اليه يستجوبه ، لكن جيراردس لم يرد على التهم . فكان سكوته فى غير صالحه . اذ لعل فى المسألة شيئا ما . لذلك عوقب جيراردس عقوبة ثقيلة . فعليه ان لا يخالط الناس خارج الدير ، وان يمتنع عن التناول .

مرت ثلاثة اشهر على هذه الحال، وجيراردس صامت كل الصمت. بعدها استلم القديس الفونس رسالة اخرى ، فرأى فيها أن نيريا مصابة بمرض ثقيل ، اعادها الى رشدها ، فأقرت تحت وخزات الضمير ان ادعاءاتها كاذبة جملة وتفصيلا . حينئذ اخذ الفونس يلوم القديس جيراردس على سكوته وعدم دفاعه عن نفسه . فقال جيراردس : « لان القانون يمنعني عن تبرير نفسي، ويدعوني الى ان اتحمل بصمت كل اماتة يفرضها الرؤساء » .

٤ ـ لتكن مشيئتك :

تفاقم على جيراردس مرض التدرن الرئوي شيئا فشيئا . وكان الطبيب سانتوريلي يعرفه حق المعرفة ، فقد عالجه مؤخرا مرارا عديدة فقال له ذات يوم : « جيراردس ، ماذا تفضل الموت ام الحياة ؟ . . اجابه جيراردس : « لا الحياة ، ولا الموت اننى لا اريد الا ما يريده الله » .

استمر مرضه الاخير لمدة شهر تقريبا ، وهو يعاني منه الاما شديدة ، متحملا مع المسيح سر الموت على الصليب ، وهذا السر انكشف في يوم ما ، حين بدأت رائحة ذكية تفوح فى الغرفة ، منتشرة من سرير جيراردس وثيابه . في البداية لم يعرف الاخ الممرض حقيقة الامر ، فقال : « الاخ جيراردس ، انك تضع على جسمك موادا عطرية ، وهذا ممنوع بأمر القانون المقدس ».

قصة اخيرة .. اقبل ذات يوم كاهن يزور جيراردس على فراش الموت ، وبصحبته شاب قروي اراد ان يرى جيراردس للمرة الاخيرة . وكان في غرفة المريض بيانو يعزفون عليه الحانا يرتاح لها جيراردس . انجذب نظر القروي الشاب الى هذه الالة الموسيقية ، فاشار عليه جيراردس بالعزف عليها ، اعتذر الشاب لانه لا معرفة له سابقة بالبيانو فكيف يمكنه العزف عليه ؟ .. ولكن بمرأى من الكاهن وعلى الحاح جيراردس ، قام الشاب يلعب على البيانو ، فصدحت انغامه فى الغرفة وفى أروقة الدير . ان الله خلق موسيقى سماوية باصابع لاخبرة لها بالموسيقى « انه هو الذى يصنع العجائب ، وليس انا » .

توفي جيراردس فى ١٥ تشرين الاول سنة ١٧٥٥ . واعلنه البابا بيوس العاشر قديسا سنة ١٩٠٤ .

العيد : ١٦ تشرين الاول .

(٤) القديس يوحنا نبوميسينس نويمن ١٨١١–١٨٦٠

ولد يوحنا نبوميسينس نويمن يوم ٢٨ اذار سنة ١٨١١ في قرية براخاتيتس احدى قرى مقاطعة بوهيميا (غرب تشيكوسلوفاكيا الحالية)، التي اقامها مهاجرون ، في ظروف تاريخية عسيرة ، كانت نتيجة لحرب الثلاثين سنة (١٦١٨–١٦٤٨) تلك الحرب التي ادمت المانيا بنزاعات دينية وسياسية ، بين الكاثوليك والبروتستانت . كان الامراء يبذلون جهدهم من اجل استغلالها لصالحهم . على اثر تلك الاضطرابات الدامية ، ولمدة سنين طويلة ، هاجر الكثير من المان بافاريا الى بوهيميا . وكانت بوهيميا في تلك الحقبة جزا من الامبراطورية الالمانية . وللالمان فيها المكانة الفضلى ، وكانت اللغة التشيكية هي المحلية في بوهيميا ولم يكن الوضع بين الالمان والتشيك خاليا من نظرة الريبة المتبادلة ، والحقد المبطن ، لدى البعض .

حينما قاد نابليون (١٧٦٩–١٨٢١) جيوشه الى ميادين المعارك في اوربا ، اضطر المان اخرون الى الهجرة من بافاريا بحثا عن الاستقرار في قرى بوهيميا . لكن الحرب العالمية الثانية قلبت الوضع فالمانيا الهتلرية خسرت الحرب ، لذلك لم يكن باستطاعة الالمان البقاء في تشيكوسلوفاكيا بعد . في شتاء سنة ١٩٤٥–١٩٤٦ ترك بوهيميا مليونان من الالمان ، وعلى اذرعهم شريط ابيض ، في قطارات بائسة وباردة ، تاركين قراهم فارغة تماما ، وكانت براخاتيتس احدى هذه القرى .

١ ـ تاريخ دعوة :

كان فيليب نويمن والد يوحنا ، واحدا من اولئك الالمان الاتين من بافاريا ، وقد وصل الى بوهيميا سنة ١٨٠٢ هربا من حرب نابليون ، لكن لم يستطع الهرب من الحزن الذي اصابه شخصيا ، فقد توفيت امرانه التشيكية الشابة مع الطفل الذي ولدته سنة ١٨٠٤ . في السنة التالية تزوج فيليب من ابنة تشيكية اخرى هي اغنس ليبيس ، ورزقا بستة اولاد . لم تكن العائلة غنية ، لكن الاب كان يزاول حياكة النسيج ، فيكسب معيشة عائلته .

لهذه العائلة صفات بارزة تتميز بها سائر العوائل المسيحية الحقيقية. فلا احد من افرادها يهمل صلاة الصباح والمساء . والكل متعودون على الصلاة قبل الطعام وبعده ، وعلى حضور القداس يوم الاحد ، وكانت الوالدة تحضر القداس يوميا ، ومعها احد اولادها ، محافظة بدقة على الاصوام التي تفرضها الكنيسة ، حتى ان زوجها كان يعترض احيانا بقوله انها تؤذي صحتها .

كان الوالدان ساهرين دوما على تربية الاولاد . فكانت تكفي منهما نظرة واحدة ليصلح الولد الخطأ الذي اقترفه . ذات يوم تلفظ يوحنا ، وهو طفل ، بكلمة كاذبة ، فقام والده يضربه بالعصا التي جعلت ان تكون تلك كذبته الاولى والاخيرة ايضا .

فى السنة السابعة من عمره بدأ يوحنا بالذهاب الى المدرسة ، حيث بدت عليه علامات الذكاء والنشاط ، وكان الولد مغرما بالكتب ، هذه الصفة التي تلقاها من والده . ولم يكن له فكرة معينة عن المستقبل وكانت والدته تتمنى ان يصير كاهنا . فكانت تصلي من أجل هذه الغاية . كان يوحنا طموحا الى هدف عال ، ولكنه لم يركزه على الكهنوت ، بل كان يرغب فى مواصلة الدروس .

سنة ١٨٢٣ راح يكمل دروسه في مدينة بودفـايس ، وكانت تتضمن اللغة اللاتينية واليونانية ، والرياضيات ، والجغرافيـة والعقائد المسيحية ، يتلقاها الطلاب لمدة ٦ سنوات ، وكان يسكن في بيوت عائليـة ، حيث ما كان يجد لا الراحة ولا الاختلاء اللازمين ، وخاصة لدى اقامته مع طالب اخر فى نفس الغرفة . وفى المدرسة لم يكن سهلا عليه التفاهم مع المدرسين ، بحيث كان يفكر احيانا بترك المدرسة . كانت هوايته المفضلـة هي العزف على القيتار ، او القيام بجولات طويلة مع احد الاصدقاء، وقد ظل آدلبرت سميت صديقه الصدوق حتى الموت . ولم تكن تقواه متميزة عن تقوى الاخرين . فيذهب الى الكنيسة مثل سائر الناس ، ويتنـاول القربان الاقدس مرة واحدة فى الشهر حسب عادة ذلك الزمان .

بعد المرحلة الاعدادية درس نويمن الفلسفة لمدة سنتين ، وبضمنهـا العلوم الدينية والرياضيات العالية والعلوم الطبيعية ، والاداب اللاتينية لكن علوم الحياة والفلك فقد اضحت شغله الشاغل . انهى دراسته سنة ١٨٣١ . وعليه الان ان يختار واحدة من الوظائف الثلاث ، فاما الطـب او المحاماة ، او الكهنوت . وقد صرح فى وقت لاحق انه كان له انطباع سيء عن اللاهوت . وكان يحب الشعر ، انه اراد البحث عن الكمال في الامـور البشرية لا غير . والكهنوت لم يكن متيسرا الوصول اليه ، فالراغبون فيـه عديدون سنويا . وقد يصلون الى ثمانين او تسعين طالبـا ، يقبل منهم فى المعهد الديني عشرون فقط . وبدون توصية من شخصية مرموقة لا يمكن لاحد الدخول الى المدرسة الكهنوتية . ونويمن لم يكن له احد للقيـام بهذه الوساطة ، فاتجه فكره نحو الطب ، وايد والده الفكرة ، مستعـدا لدفع المصاريف وان كانت باهظة ، لكن والدته كانت ترى فـي كـل هذه التطلعات رغبة خفية فى الكهنوت ، ولكن دون ان تضطر ولدها اليـه . فاقترحت عليه ان يقدم طلبا الى المدرسة الكهنوتية بدون رسالة توصيـة مـن احـد .

عمل نويمن بمشورة والدته فقدم الطلب ، واذا به يتفاجأ بقوله .. هذه قصة دعوة كهنوتية ، ولا نكون محقين لو سكتنا عنها ، او لو قلنا : وماذا جرى يا ترى ؟ فان هذه الدعوة نمت في محيط عائلي مسيحي وفي تقوى شخصية اعتيادية ، متغذية بصلاة الوردية التي كان يوحنا يتولاها، وبالاختلاء الكثير فى احدى زوايا الكنيسة ، وبالنوافذ الروحية التى كان يوحنا يطلقها بكثرة ، وبالرغبة الصادقة فى حياة مسيحية سليمة ، هذه كلها تشكل رغبة مبهمة فى الكهنوت ، لخدمة الله ، وما اكثر الشباب المسيحيين الذين يراودهم شعور كهذا ، فلماذا لا يتقدمون الى المعهد الكهنوتى ، وهم ليسوا لذلك بحاجة الى وساطة .

٢ ـ امريكا بحاجة الى كهنة :

دخل نويمن المدرسة الكهنوتية سنة ١٨٣١ . وكما قلنا آنفا ، كان الاقبال اليها شديدا ، عكس ما نلاحظه اليوم لدينا ، حيث الدعوات الكهنوتية قليلة . فىنهاية السنة الاولى كان عدد قليل من التلاميذ يحظون برتبة حلق الرأس وقبول الدرجات الصغرى ، وكان نويمن احد هؤلاء المحظوظين . ومن الصعب علينا هنا ان نصف نفسية نويمن في وضع كهذا . لكن دراسته خلقت لديه رغبة شديدة فى الكتاب المقدس . فقد اصبح الان شغله الشاغل ، ولا يكفي بمطالعته وحده ، بل ويطالع اي كتاب اخر له صلة به .

كما واتجهت رغبته الى اللغات ايضا . فتعلم اللغة الايطالية والفرنسية . وكان يرتل صلوات باللغة البوهيمية . بالطبع كانت اللغة الالمانية والتشيكية لفتي بيته .

اثناء سنته الدراسية الثانية اخذ يقرأ تقارير مرسل نمساوي فى امريكا ، نشرتها جمعية المانية لنشر الايمان . وحينما كان معلم الكتاب المقدس يقص جزءا من اسفار القديس بولس الرسولية ، بصفته اول

مرسل ، كان قلب نويمن يضطرم نارا ، فيفكر بأن امريكا ستكون حقل رسالته فى المستقبل .

اما الان فعليه ان يحقق امرين . الاول هو اماتة الذات . فهو يريد تقديس نفسه لكي يستطيع ان يقدس الاخرين . ويستعد في الوقت ذاته لتحمل الاتعاب والمعاناة التي سيلاقيها كمرسل . اما الثاني فهو تعلم اللغة الانكليزية . وفى بودفايس ليس له المجال لذلك ، فقدم طلبا للتحول الى المدرسة الدينية فى براغ ، ونال ما اراد . الى هنا سارت الامور على ما يرام ، واذا بالطريق الى امريكا يتعرقل فجأة . كان نويمن يفكر بنيل الرسامة الكهنوتية فى نهاية السنة الدراسية . لكن اسقف بودفايس وقع مريضا . وعلى كل الحال ، صدر قرار بعدم وجود رسامة كهنوتية ، لان فى بودفايس عددا فائضا من الكهنة . حتى ان البعض من الكهنة المرتسمين فى السنة الماضية لم يعينوا بعد .

في هذه الاثناء قدم يوحنا نويمن طلبا الى الجمعية الالمانية لانتشار الايمان بغية الحصول على اجور السفر الى امريكا . لكن الجمعية رفضت الطلب قائلة ، ان طلبا كهذا يجب ان يصدر من الرئيس المحلي فى امريكا وليس من الطالب نفسه . لذلك بعث نويمن رسالة الى مطران فيلادلفيا . وبسبب تأخر البريد لم يرد جواب لرسالته .

سئم نويمن الانتظار . فلجأ الى الاب هرمن ديختل عميد كاتدرائية براغ ، وهذا اعطاه عنوان المطران ريس مدير المدرسة الدينية في ستراسبورغ ، ومنسق الرسالات الى امريكا فى اوربا . نهض نويمن منذ الصباح الباكر ، متجها الى ستراسبورغ ، وليس فى جيبه سوى دريهمات قليلة .

قبله المطران ريس بترحاب ، ولكن لم يكن له نقود هو الاخر ، لانه صرف اخر ما كان لديه منها على مرسلين اخرين كانوا قد سافروا قبل

مدة. وما كان يبقى له اي طلب من قبل الابرشيات الامريكية. فلا يدري الى اين يرسل نويمن . يمكنه فقط ان يرسله ، مع رسالة تأييد ، الى اسقف نيويورك حيث يرسو به المركب . اقلع يوحنا نويمن على ظهر مركب ثلاثي الصواري يدعى « اوربا » من ميناء لوهافر ، يوم ٢٠ نيسان سنة ١٨٣٦ ، بصفة راكب طائف ، تعوزه النقود ، ولا يدري اذا ما يقبل في امريكا ام لا .

وصل الى نيويورك فى شهر حزيران سنة ١٨٣٦ . وبعد اربعين يوما على ظهر المركب لم يبقى له سوى دولار واحد . فراح تحت المطر يبحث عن كنيسة كاثوليكية . فلم يجد سوى كنائس عديدة غير كاثوليكية . والدولار المتبقي لديه دفعه اجرة ليلة فى فندق . في اليوم التالي التقى بالمطران دوبوا اسقف نيويورك الذي فرح جدا بلقائه ، لحاجته الماسة الى ثلاثة كهنة يتكلمون اللغة الالمانية . فسلم له رسالة المطران ريس . لكن مطران بودفايس كان قد نسي ان يعطي لنويمن شهادات تؤيد انه قد انهى دروسه الكهنوتية . الا ان المطران دوبوا قال : « بشهادة او بغير شهادة ، سارسمك حالا ، لانني بحاجة اليك ، وفى ارض الرسالات لا يجوز ان نضيع الوقت » .

بدأ نويمن نشاطه بأعطاء دروس التعليم المسيحي ، لمدة اسبوعين . لثلاثين ولدا من الالمان كانوا يستعدون للتناول الاول . في ١٩ حزيران اقتبل درجة الشماسية ، وكان ذلك بعد ١٧ يوما من وصوله . وفى ٢٥ حزيران اقتبل القسوسية فى كاتدرائية القديس باتريك فى نيويورك . على اثرها كتب رسالة طويلة لاهله يروي لهم قصته بكل تفاصيلها .

٣ ـ راهب مخلصي

تعين نويمن كاهنا فى مدينة بوفالو . وكان عليه ان يمر بمدينة روشستر لتأدية بعض خدمات للجماعة الالمانية ، وهناك ينتظر وصول

كاهن اخر هو الاب يوسف بروست المخلصي. بعد يومين فقط وصل الاب بروست . تأثر نويمن برؤية هذا الراهب ، وفكر هو الاخر بالانضمام الى رهبنة المخلص الاقدس . وكانت منه فكرة عابرة ، راودته بعد حين .

يوم ١١ تموز وصل يوحنا نويمن الى مركز عمله الكهنوتي حيث استقبله الاب الكسندر باكس الذي ترك لنويمن امكانية الاختيار بين العمل في المدينة او في الريف . اما القادم الجديد فقد اختار العمل في الريف .

كانت الخورنة التي استلم نويمن ادارتها مكونة من حوالي ٤٠٠ عائلة مبعثرة على مساحة ٩٠٠ ميل مربع في منطقة نياغرا ، تغطيها الغابات الكثيفة ، والطرق فيها قليلة . وعلى نويمن ان يقوم بزيارة القرى الخمس المتواجدة هناك ، اضافة الى عوائل المهاجرين المنعزلة في قلب الغابات . والمشاكل التي يلاقيها تختلف من قرية الى اخرى ، ومن مكان الى اخر .

كان يبقى مشاكل على صعيد الحياة الاجتماعية والاقتصادية والقانونية . فالكنيسة والمدرسة والمستشفى ، هذه كلها مواقع قائمة على مبادرات خاصة ، وتعود الى اصحابها بمفردهم . فمن الضروري ان يؤخذوا بعين الاعتبار . وهناك قضية الجنسيات ايضا ، فهذا مطرود من الجماعة الفلانية لان اصله الماني او ايطالي او ارلندي ... وهذه النزاعات مهمة جدا ، لان افراد الجماعة الواحدة يقومون بصرف المبالغ اللازمة لراعي الكنيسة ، او للمعلم ، او لبناء كنيسة ... وعلى نويمن ان يجابه هذا التشكيل البدائي للمجتمع . وبما ان الجماعة تقوم بمصاريف الكاهن، فهي تفرض عليه ارادتها ، وعليه ان يحني راسه او يرحل ...

مارس نويمن رسالته لمدة ٤ سنوات كان ثقلها باهظا عليه ، تحمله بمعنويات نفسية وروحية عالية . وتمكن بمساعدة المؤمنين من تصليح وبناء بعض المعابد . وكان يجمع الاولاد للتعليم المسيحي ، وغالبا ما كان

يعطيهم المبادىء المدرسية الاولية التي كانت تنقصهم . وحاجته ماسة الى معابد ، والى مدارس ايضا .

شعر نويمن بأن المهمة اثقل من ان يتحملها رجل واحد بمفرده مهما كان قويا . فأحس بحاجة الى اخرين يقاسمونه نفس المثل التي يحملها ، ويوزعون العمل فيما بينهم — فأقبل شقيقه ونسسلاس لمساعدته في اوضاعه الصعبة التي اطلع عليها من رسائله . تحسنت الاوضاع بهمة الاخوين ، لكن الجهد المبذول كان فوق مستطاع ارادتهما الصالحة . عادت رهبنة المخلصيين ثانية الى مخيلة نويمن . .فهو بحاجة الى هذه الرهبنة روحيا وماديا . وهو لا يستطيع العيش بعد الا فى عائلة رهبانية ، عائلة كبيرة تحيا فى سبيل الله ولا يهمها الا ملكوت الاب السماوي ، حيث الكثير من الايدي والقلوب تذلل الصعوبات. لذلك اخذ نويمن يتصل بالاب بروست . سنة ١٨٤٠ دخل نويمن الرهبنة . وجاهر بنذوره يوم ١٦ كانون الثاني سنة ١٨٤٢ . فكان اول راهب مخلصي ترهب فى امريكا . بعد فترة قصيرة لحق به شقيقه ونسسلاس بصفة اخ غير اكليريكي .

وها هو نويمن الان يعمل ضمن جماعة . والعمل ما اكثره في امريكا التي كان يقصدها المهاجرون دون انقطاع ، فالكهنة قائمون على نشاطهم الروحي منذ الصباح وحتى المساء . فاضطرت الرهبنة الى استدعاء رهبان جدد . ونويمن تعين مسؤولا عن بيتها الكائن فى بالتيمور . ومن هناك بدأ يتجول فى القرى الريفية للقيام بحلقات من الوعظ التي درج المخلصيين على تسميتها « حملة روحية » .

ثم اقيم رئيسا فى مدينة بيتسبورخ . والعمل هنا متواصل ايضا . وهنا اخذ على عاتقه انشاء كنيسة . كان « العالم الجديد » حينذاك خاليا خاويا ، فينبغي الانطلاق من الصفر . كانت فترة الرئاسة لمدة ثلاث سنوات ، تمكن نويمن بعدها من العودة الى الصف كراهب بسيط في

مدينة بالتيمور . ان الرهبان المخلصيين فى امريكا كانوا خاضعين للرئاسة التي في النمسا . واوربا بعيدة عنها ، لذا تعين الاب نويمن اول نائب للرئيس الاقليمي . فكان مسؤولا عن عشرة اديرة المخلصيين الكائنة حينذاك في امريكا . ثم صار المخلصيون الاميركان خاضعين للاقليم البلجيكى . ومنذ سنة ١٨٤١ اضحت بلجيكا اقليما مستقلا ازدادت اهميته اكثر فاكثر . فتخلى له اقليم النمسا عن رسالة امريكا . اما بالنسبة لنويمن فالوضع لم يتبدل كثيرا . لانه ظل نائبا للرئيس حتى سنة ١٨٤٩ لدى وصول الاب برنارت هافكنشتايد الذي صار اول رئيس اقليمي مخلصي لاقليم بالتيمور المستقل والذي تم تشكيله سنة ١٨٥٠ . اما نويمن فكان مستشارا له .

لم ينحصر اهتمام الاب نويمن برهبنته فقط . ففى سنة ١٨٤٧ وصلت الى امريكا راهبات مهمتهن التعليم ، ولم يكن لهن محل اقامة ولا مجال للعمل ، فاهتم بهن ، وشاركهن فى نشاط رهبنته ، وبعد وقت قصير اخذت امورهن تسير على خير ما يرام . فى السنة عينها انقذ مؤسسة اخرى من التفكك ، تدعى مؤسسة المتطوعات للعناية الالهية ، التي كانت تعمل خاصة بين السود . وقد ازداد وضعها الروحي سوءا بحيث قرر المطران ان يغلق بيت الاخوات ويعيدهن الى عوائلهن . لكن نويمن طلب مهلة لتنفيذ القرار ، وصار معرفهن الخارق العادة ، وكان يأتي ويقيم القداس فى معبدهن للسود الكاثوليك ، وكلف زميلا له ليهتم جديا بالاخوات وبرسالتهن . والمؤسسة التي تم انقاذها فى اللحظة الاخيرة ، استعادت نشاطها الروحي ، وازدهرت بين السود .

٤ ـ اسقف فيلادلفيا :

لم يترك البابا بيوس التاسع مجالا للاب نويمن المسكين ليرفض كرسي ابرشية فيلادلفيا لدى شغوره . فقد عينه اسقفا « بأمر الطاعة

وبدون اعتراض » . وجرت رسامته الاسقفية في ٢٨ اذار سنة ١٨٥٢ . لقد كان لهذا التعيين فوائده الكبيرة . فقد اتاح لنويمن المجال لانشاء مدارس خورنية ؛ وشكل لجنة خاصة مهمتها تأسيس مدرسة في كل خورنة . فتأسست مدارس في كل مكان من ابرشيته . واستدعى الاسقف رهبنات عديدة تزود المدارس بالمعلمين والمعلمات . وشكل رهبانية نسوية لهذه الغاية عينها . وكان دائما خوري الرعية هو المسؤول عن المدرسة .

لكن المؤمنين بحاجة ماسة الى كنائس ، نظرا الى كثرة المهاجرين الذين ما كان يتوقف قدومهم الى هذا البلد . فهم بحاجة الى معونة روحية وكنائس منتظمة . وهذه كلها لا وجود لها في ذلك الوقت . مكث نويمن اسقفا لابرشية فيلادلفيا لمدة ثماني سنوات . والقول صعب للتصديق اذا قلنا ان الاسقف راح يقيم الكنائس حسب خطة منسقة تنجز كنيسة في كل شهر . وكذلك الامر بشأن المدارس . لقد ادخل الاسقف الى ابرشيته عبادة « الاربعين ساعة » كان المؤمنون خلالها يسجدون للقربان الاقدس بالتناوب بين الكنائس . وبهذه الصورة كان السجود مستمرا في الابرشية ليل نهار .

وكان المطران نويمن يزور رعاياه . ويمكث عدة ايام في كل رعية يكرز ويعرف . وفي الدار المطرانية كان يكرس ساعات طويلة للصلاة يوميا . وغالبا ما كان يفتح هو بنفسه الباب للطارقين ، ويتفقد المرضى حينما يستدعيه احد .

في ٥ كانون الثاني سنة ١٨٦٠ كان الاسقف بزيارة لمحام يبحث معه بشأن مسألة تخص الابرشية . ولدى خروجه سقط على رصيف الشارع مصابا بداء السكتة وبعد لحظات فارق الحياة . وكان له من العمر ٤٨ سنة .

ادرجه البابا بولس السادس فى مصف القديسين فى ١٩ حزيران سنة ١٩٧٧ . ان الكنيسة تبحث بحثا دقيقا جدا فى سيرة شخص وفضائله البطولية قبل ان تعلنه قديسا . وهذا البحث جرى لنويمن سنة ١٩٢١ وبهذه المناسبة سماه البابا بنديكتوس الخامس عشر « بطل الواجب » . واضاف قائلا : ولو ان فضائل نويمن وضيعة في ظاهرها ، الا انها قد الهمت اعمالا جليلة للحاضر وللمستقبل .

سنة ١٨٣٩ حينما كان القديس يوحنا نويمن كاهنا في منطقة نياغرا وضع لنفسه الخطة اليومية التالية :

قاعدة للسلوك اليومي :

ـ اتلو صلاتي راكعا دائما ، واتلوها بكل ما ممكن من التقوى . واحاول تلاوتها فى اوقات معينة .

ـ اكون دقيقا فى الاستعداد للقداس وللشكر بعده .

ـ اقوم بزيارة القربان الاقدس بعد الظهر يوميا .

ـ لا آكل شيئا مطلقا خارج وجبة الطعام ظهرا ومساء .

ـ استعد جيدا للعمل المعين .

ـ اتكلم فقط لدى الضرورة ولمجد الله الاعظم .

ـ اتيقظ على افكاري وحواسي .

ـ يا الهي ، ساعدني ، بشفاعة مريم وجميع القديسين .

العيد : ٨ كانون الثاني

(٥) الطوباوي بطرس دوندرس ١٨٠٩–١٨٨٧ :

١ – بين احضان الموت :

ابصر بطرس دوندرس نور الوجود في عائلة تعاني من ضربات الموت والامراض بين الحين والاخر . كان والده حائكا ، بسيط القلب وطيب المعشر . بعد وقت قصير من زواجه توفيت زوجته ، فتزوج ثانية من امرأة انجبت له ولدين توفيا كلاهما . وبعد فترة غير طويلة لحقت بهما والدتهما . فتزوج الاب امرأة ثالثة ولدت له بطرس في ٢٧ تشرين الاول ١٨٠٩ . وكان الطفل ضعيف البنية يخشى عليه والمرض [illegible] . لكن الطفل اخذ يترعرع رغم [illegible] لم يغب عن العائلة ، لان والدة بطرس توفيت [illegible] الوالد وحده مع بطرس واخ له اصغر منه سنا واوهن صحة .

هل الحياة ممكنة في ظروف تعيسة كهذه ؟ نعم .. ستكون حياة بطرس طويلة وبطولية . انها تشكل صراعا يخوضه الاضعف ضد الاقوى . ومنذ البداية كان صراع الاضعف ينوي وضع ذاته في خدمة الله . لقد اراد بطرس ان يصير كاهنا . كيف تم له ذلك ؟ كيف عاش حياته الكهنوتية ؟ .. لم يكن بطرس دوندرس يخشى المرض ، ولا الموت ، ولا الصعوبات الاخرى التي قامت تسد بوجهه الطريق التي اختارها لنفسه .

٢ – باراماريبو ، في الجهة الاخرى من العالم :

ولد بطرس دوندرس في تيلبرخ ، وهي مدينة صغيرة واقعة في برابنت في الاراضي المنخفضة .

لم يكن بطرس ذكيا فى المدرسة ، بحيث اخذ معلمه يعتقد بانه سيترك الدراسة لا محالة . اما فى درس الدين فكان الصبى يبدى انتباها واعيا جعل معلمه يغير فكرته عنه ، وفى هذا المجال كان متفوقا على طلاب اكثر ذكاء منه .

وفى البيت كان بطرس رغم صغر سنه يساعد والده فى العمل ، يصلي يوميا ، وهذا ليس بالامر الغريب فى عائلة مسيحية ، ولكن له اهميته الملحوظة .

فى طفولته جرت له قصة تدعو الى الضحك ، ولو أن ظروفها لا تتيحه . كانت والدته محتضرة . والكاهن يقوم بمنحها الاسرار الاخيرة . فى هذه الاثناء ، القربان الاقدس موضوع على منضدة ، والى جانبه كتاب يبدو ضخما بالنسبة الى بطرس الذي كان عمره حينذاك ٦ سنوات . الاهل محيطون بفراش المنازعة . تقدم الصغير واخذ الكتاب بدون حرج . انه يريد ان يقرأ ويصلي ، لكن الكتاب سقط من يديه مما جذب اليه انظار التأنيب لانه اخذ كتاب الاب الكاهن . على اثرها شعر الصغير بخطائه . وبينما كان الحاضرون يتلون صلاة الموتى ، سمعوه يقول : «في يوم ما سيكون لى كتاب مثل هذا » .

هذه الرغبة المبهمة في الكهنوت كان الصبي يعبر عنها من خلال العابه . فقد نصب له فى حديقة البيت « معبدا » صغيرا كان يتلو فيه القداس من اجل والدته . او يكرز فى السرداب امام اخيه مرتينوس واولاد اخرين . بعدما صار الصبي شابا مثاليا يعاون والده فى مهنة الحياكة ، كان شعوره الديني قد نضج نضوجا بالغا . فنراه يتردد على كنيسة الخورنة ، وغالبا ما كان يذهب ايضا الى معبد اخر مبني اكراما لمريم العذراء ، في ضاحية من المدينة . وكان يجمع عددا من الاولاد لا يذهبون الى المدرسة ، ويلقي عليهم التعليم الديني امام باب منزل والده.

في السنة الثانية والعشرين من عمره ذهب الى المعهد الديني للصغار، ليس لتلقي الدروس بل بصفة خادم . وهناك لم تكن تقوى الخادم الجديد خفية على المحيطين به . كما واتيحت له الفرصة لتلقي الدروس اضافة الى عمله كخادم . لقد بدأ بطرس اخيرا بوضع خطواته الاولى على الطريق المؤدية الى الكهنوت . لكن مؤهلاته الفكرية لم تتحسن منذ تركه المدرسة الابتدائية . لقد كان عقله يرفض تقبل العلوم الاعتيادية . لذلك كان موضوع هزء ومزاح لزملائه الطلبة ، فهو اكبرهم سنا واصغرهم عقلا . انه غريب فيما بينهم .

بطرس دوندرس يتألم داخليا من جراء مشاكسات الطلبة وتعاملهم الخشن معه . كما ان النقاط التي يأخذها في الامتحانات تلاشي فيه احلامه المستقبلية . فاذا لا ينجح لا يمكنه ان يصير كاهنا البتة . ان هذا الضعيف يعاني صراعا رهيبا . مشاكسات الطلبة تثور عليه اكثر كلما رجاهم بالكف عنها . ولا يمكنه رفع شكوى ضدهم الى الرؤساء ، لان شكوى كهذه سيف ذوحدين . فقد يقال له ان مكانه ليس بين الطلبة ، لان نقاطه القليلة تؤيد موقفا فهذا من قبل المسؤولين الذين لا يمكنه الاتكال عليهم رغم حسن ظنهم فيه . فكان الملجأ الوحيد لبطرس هو يسوع في سر القربان الاقدس . وهناك يصلي بطرس ويصلي ليتمكن من تحمل هذا الكابوس الثقيل عليه ، ويطلب القوة لمواصلة السير المودي به الى الكهنوت . فعليه اذن ان يمشي دون توقف .

وقد لاحظ الطلبة ايضا ان بطرس يخوض صراعا روحيا بكل معنى الكلمة . فهم لم ينجحوا البتة في الجائه الى التلفظ بمسبة واحدة . لا بل كان يمكث هادىء الاعصاب في اشد الحالات المثيرة . فبداوا يحترمونه . كما ولاحظوا انه يتقدم في دروسه نوعا ما . . . لعله ينجح اخيرا .

اثر قراءة في كتاب « حوليات مجمع انتشار الايمان » اطلع على مدينة باراماريبو البعيدة . فهي في مستعمرة غويانا (سورينام) يديرها الهولنديون . ولكن ليس هناك من يهتم في الامور الدينية . لذلك قرر بطرس ان يصير كاهنا لبلدان الرسالات . فعليه اولا ان ينتمي الى احدى الرهبنات الارسالية . ولهذه الغاية طرق باب اليسوعيين الذين شجعوه ونصحوه بالانتماء الى رهبنة اخرى . فاراد الانضمام الى المخلصيين لكنهم رفضوا قبوله . كما ان الفرنسيسكان امتدحوا هدفه ، غير انهم لم يجدوا فيه دعوة الراهب الفرنسيسكاني .

لم يبق امام الشاب المخذول الا الدخول الى المدرسة الكهنوتية في الابرشية . فشرع بدراسة اللاهوت ، وكان له من العمر ٢٨ سنة . وفي يوم ٥ حزيران سنة ١٨٤١ اقتبل الدرجة الكهنوتية . بعد اشهر قلائل وصل بالمركب الى مدينة باراماريبو في امريكا الجنوبية .

ستكون لي شاهدا

الى اقاصي الارض .

حقا ان غويانا الهولندية بعيدة جدا . وقد تم اكتشافها سنة ١٤٩٨ حينما وصل خريستوفوروس كولومبس الى ضفاف نهر اورينوكو (فينزويلا الحالية الواقعة الى الشمال الغربي من غويانا الانكليزية السابقة) . لم ترق هذه المنطقة للاسبانيين ؛ نظرا لغاباتها الشاسعة وندرة الهنود الاصليين المتواجدين فيها هنا وهناك . وفي القرن ١٦ بدا النزاع عليها مابين الهولنديين والفرنسيين والانكليز والبرتغاليين المتوافدين . وعلى مرور الزمن تم وضع الحدود الفاصلة بين غويانا الثلاث الانكليزية والهولندية والفرنسية ، وفنزويلا والبرازيل .

اما غويانا الهولندية (المسماة ايضا سورينام) فقد صارت من حصة هولندا بعد اتفاقية بريدا سنة ١٦٦٧ . وبعد حروب متواصلة

انتقلت سوريتام مرارا عديدة الى اياد مختلفة ، واضحت اخيرا تابعة لهولندا بعد الاتفاق المبرم سنة ١٨١٥ في فيينا . وفي سنة ١٨٦٣ جرى اعلان تحرير العبيد ، الذي ادى الى فقدان الايدي العاملة في مزارع كثيرة. فقد انسحب العديد من العبيد المحررين الى الغابات . مما جعل ارباب العمل يستاجرون عمالا اخرين قادمين من الهند البريطانية ومن جاوا . وكان العمل قائما بالاخص على زراعة التبغ والسكر والقهوة والبرتقال ايضا . وكانوا يستخرجون الذهب والبوكسيت يصنع منه الالومنيوم . الطرق قليلة جدا ، فالتنقل يتم في الانهار ، وهي كثيرة في غويانا الهولندية ، وتقطع البلد من اقصاه الى اقصاه. لكن الملاحة فيها غير ممكنة الا للمراكب الصغيرة بسبب سرعة السيول والشلالات .

الى هذا البلد وصل بطرس دوندرس سنة ١٨٤٢ . ان وارداب المستعمرة القليلة ومعدن البوكسيت لم يستثمر بكثرة الا بعد زمن متأخر . فكانت هولندا تضمن المعيشة في غويانا بجلب المؤن ، مصممة على العمل لتقدم البلد وازدهاره .

اما بطرس دوندرس فلا يشغله شيء اخر سوى النفوس . وقد استضافه هناك كاهن اخر مرسل وجالية صغيرة من الكاثوليك . هؤلاء سروا به ايما سرور ، طالبين له نعمة الله لنجاح رسالته . وكان بطرس الكاهن الجديد يباشر خدمته الروحية باقامة بركة القربان . وهذا كان دابه مدة ٤٥ سنة ، لم يعد فيها بطرس الى هولندا بلده الام ، لان سورينام كانت بلده الحقيقي ، انه بلد احلامه . العبودية ما زالت قائمة . فواجب بطرس الاول هو زيارة الزنوج العبيد في المزارع ، وتثقيفهم . ولهذه الغاية استكرى زورقا مع مجذفيه ، وانطلق نهرا نحو وسط البلاد. انه يستطيع التكلم باللغة الهولندية والانكليزية .

غالبا ما يتواصل السفر لوقت طويل ، لنهار بكامله ، والاماكن مقفرة ، بدا مجذفو الزورق يلاحظون ان بطرس رجل تقي مؤمن حقيقة . ان الشجرة الصالحة تعطي دوما ثمارا طيبة . بطرس يصلي اثناء السفر . ولا يشتكي من متاعب التنقل . هذا ما نال اعجاب المجذفين ، لدى رؤيتهم اجنبيا يتحمل حرارة البلد دون ادنى انزعاج ، ويواجه الحالات الطارئة بهدوء وسكينة . وفوق هذا كله ، انه لطيف معهم وطيب المعشر . فهو يقاسمهم طعامه ، او يعطي غطاءه لاحدهم . ذات ليلة صرخ احدهم فى حلمه مستدعيا امه فى عطشه . فنهض الكاهن حالا وقدم له ماء ليشرب . ان مواقف كهذه دلت لهم على طيبة قلب الكاهن . ومع مرور الايام اكتشفوا ان روحيته اعمق مما يتصورون . فهو يكتفي بشيء زهيد من الخبز والماء ، ولا يرقد فى المنام ، بل على الواح المركب ، ولا يقي جسمه ضد وخزات البق . فأخذ المجذفون يشعرون ان في هذا التصرف سرا الهيا . فالاب القس لا يكرز بالمسيح بالاقوال فقط .

لدى الوصول الى مزرعة ما عليهم التقاء بصاحبها . فيطلب منه بطرس استضافتهم لمدة ايام ، وخاصة السماح له بالتوجه الى العبيد لتثقيفهم .

بالعموم اينما حل بطرس كان مطلبه مقبولا ، فتراه كل مساء بين اولئك العبيد يعلمهم الديانة ، ويناقش معهم ، ويعمد ، ويمنح سر الزواج. ويقيم القداس . انها ساعات النعمة الالهية ، يوزعها شخص يعتبر ان حياته هو « هي المسيح » .

واحيانا كان رب العبيد يرفض مطلب الكاهن بشأن هذه النشاطات الدينية ، بحجة ان العبيد بحاجة الى الراحة او باية حجة اخرى . فيأتي الرفض مؤلما للسائح فى سبيل المسيح . لان هؤلاء البشر المساكين لا يملكون شيئا من حطام الدنيا ، حتى ان حياتهم بالذات ليست ملكا لهم ، وها هم محرومون من بشارة المسيح ايضا .

ذات يوم كان النقاش مقلقا مع احد الارباب رفض رفضا باتا كل تثقيف ديني يجري في مزرعته قائلا : لا مجال لذلك الان ، فالمركب راس ويجب تحميله بالاخشاب . فاجابه الكاهن : هل ترى لا يوجد في الحياة شيء اخر سوى العمل ؟ الا يمكن لهذا العمل ان ينتظر قليلا ! ثم اردف قائلا : لو ان عبيدك مرضى ، فهل يمكنهم العمل ؟ ـ كلا ، ولكنهم ليسوا مرضى .

على اثر ذلك ترك الكاهن المكان مواصلا سفره . وبعد عودته علم ان العمل توقف في ذلك المكان ، لان حمى شديدة اجبرت العبيد على ملازمة الفراش . وبعد حين تقهقرت مزرعة ذلك الرجل ، وتبدد عبيده بعد اعلان التحرير .

اما الاب القس فكان يركب الانهار الاكثر بعدا ، موقنا بوجود هنود هنا وهناك ، فيبشرهم بالمسيح ، ويقدم لهم الزاد المتبقي لديه في المركب الصغير .

٣ ـ قرية المحكومين بالموت : البرص

استمر بطرس على هذا العمل المرهق اكثر من عشر سنوات ، رغم سوء حالته الصحية . ومع ذلك ، مازال امامه مشاق اشد . فقد انشأت حكومة هولندا قرية في غويانا سميت باتافيا ، مخصصة للمصابين بمرض البرص ، الذين كان عددهم اكثر من ٦٠٠ مريض . فتباحث رئيس الرسالة مع الاب دوندرس لايجاد كاهن يهتم بهم . نحن الان في سنة ١٨٥٥ . تقدم بطرس دوندرس للقيام بهذه المهمة العسيرة . وكان المستشفى الحكومي يقدم العناية الطبية الضرورية فقط . والكاهن الجديد يبدي احترامه لاعضاء الهيئة الصحية هؤلاء الرجال الاكفاء المخلصين . اما واجبه هو ، فهو نقل البشرى السارة الى هؤلاء الناس الذين لم يبق لهم امل في الخروج من قرية الموت هذه . وفي جميع قرى البرص التي

اقيمت في هذه الفترة لوحظت افات ثلاثة وهي : الشبق ، والسكر وعبادة الاوثان ، هذه الممارسات التعيسة التي توهم اصحابها ببريق امل كاذب . والناس الذين يعيشون وضعا كهذا ، لايمكن جعلهم يعتقدون بان الله يحبهم ، الا اذا جعلناهم يرون ان المسيح هو الله الذي صار انسانا ، وهو مقيم فيما بيننا ــ وليس الا باستطاعة القديسس ان يكون مسيحا منظورا وملموسا ، يقتسم حياة البرص .

كان لبطرس كنيسة صغيرة يصلي فيها ، ويجمع اليها الراغبين في الصلاة . وعلى مسافة من الكنيسة وضع تمثالا لمريم العذراء ، فوق مكان مرتفع ، كان يجذب الناس للصلاة ايضا . من ذلك المكان كان البحر يبدو شاسعا فى نظر هؤلاء البرص ، لكن افاقه البعيدة لاتعني شيئا لديهم ، بيد انها تقول الكثير عن حنان الله اللامتناهي ، اذا كانوا مؤمنين به.

لدى قدوم مرضى جدد بالمركب على نهر كوبنام ، كان بطرس يستقبلهم بمودة ــ ان المسيح حاضر هنا ليشاركهم في حياتهم .الاب الكاهن منشغل بزيارة مرضاه ، وليس له سوى المرضى . فهو ينظف الاكواخ حيث تتراكم اوساخ البرص وتفوح منها روائح كريهة لاتطاق ؛ يستنشقها المرضى بغير مبالاة ، لان قيمتهم كبشر سقطت فى نظرهم . اما بطرس فيقول لهم : انتم بشر ، ويمكنكم ان تجعلوا حياتكم افضل مما هي عليه الان ، انكم ابناء الله ، والحياة التي نعيشها ونقبلها كما هي . حبابة ، لها قيمة غير متناهية .

وكان البعض من المرضى عاجزين عن السير لشدة اصابتهم . فالكاهن يحملهم بين ذراعيه ، ويمضي بهم الى مكان تصله اشعة الشمس ، او يأتي بهم الى الكنيسة ، ويحدثهم عن المسيح فى سر القربان الاقدس ، سر المحبة والتضحية بالذات . وكان يداوي الجروح والقروح التي لاتقل

الانتظار الى نهار الغد . ان امامه الاما كثيرة ، يسكب عليها دواء العـــزاء والســــلوان .

والبعض منهم ما كان يهمهم حضور رسول المسيح هذا . وغيرهم ممن تفاقم عليهم المرض ، كانوا يرفضون احيانا التلفظ بكلمة واحدة امامـــه . وغيرهم اتخذوه كأحد اصنامهم الخرافية ، فيتهامسون بشأنه فيما بينهـم قائلين : ان الكاهن لن يموت لانه صار روحا . وادعت امـرأة بأن حيـــة عضـــتها ، فشفاها الكاهن حين غسل جرحها بماء مبارك . فى بيئة كهـذه لم يكن باســـتطاعته الا ان يقدم لله بساطة هؤلاء النـــاس ، او عنادهـــم في الرفض . فمساء كل يوم يدخل كنيســـته الصغيرة ، ويصلي من اجلهم ، طالبا المغفرة لهم ولزلاتـــه الشخصية . وغالبا ما كان يأتيه البعض منهم طالبين الايمان ، والحلة عن خطاياهـم .

٤ ـ والان ، راهب مخلصي

ســنة ١٨٦٥ قررت السلطة الكنسية الهولندية وضع بلد سورينام بعهدة الاباء المخلصيين . فأن هذه الرهبنة انتشرت سريعا فى الاراضـــي المنخفضة . وما قرار الاساقفة هـذا الا تقييم لروحها الرســـولية . اما بطرس دوندرس فقد مضت اكثر من عشرين سنة على نشاطه الروحي فى غويانا الهولندية . ولم يفكر قط بالعودة الى الاراضي المنخفضة . فبأمكانه الان تقديم الطلب الى المخلصيين للعمل معهم . وقد شعر بفرح عظيم لدى استلامه رسائل تقول ان المخلصيين مقبلون . وكانوا قبل ذلك يطرحـــون الموضوع على بساط البحث لايجاد الراغبين فى السفر الى هذا البلد ، بعد نقاشات طويلة ، نظرا لمشقة العمل فيه . بعد هذه الاخبار السارة شرع بطرس بقراءة حياة القديس الفونس ، وبـدأت فيـه الرغبـة في الحياة الرهبانية . هذه المرة لم يرفض المخلصيون ذلك الرجل الذي قدس حقل

عملهم بجهوده وصلواته . ويريد ان يواصل سيره ، ولكن كواحد منهم . فهم يقولون الان : تعال علمنا انت كيف نعمل .

كان عمر بطرس دوندرس حوالي ستين عاما لما دخل دير الابتداء لدى الاباء المخلصيين فى مدينة باراماريبو سنة ١٨٦٧ . ومازال امامه عشرون سنة اخرى للقيام بالمهمة التي القاها الله على عاتقه . فى هذا الوضع الجديد ، اتخذت الامور سيرها الاعتيادي . فالرهبان اقبلوا للعمل . واحسنهم هو الاب دوندرس ، ذاك الذى ما عليه بعد ان يتعلم شيئا جديدا . لكنه عاد الى باتافيا ، بل الى تجربة اخيرة ومريرة جدا . فالبعض من المرضى الذين اعتنى بهم كسائر المرضى الاخرين ، طلبوا ابعاده، فأبعده المطران سوينكلس مفضلا هذا الحل على استدامة المسألة . ان هذا الاستخفاف بالكاهن كان آخر تقدمة قدمها الرجل الشيخ ليسوع فى سر القربان الاقدس . وكان يقول : يارب انني لم اعمل بدافع من امدح ذاتي . انني اقبل هذه الاهانة ، فالمرضى غير راضين عني . فاعبش مطيعا لرئيسي الروحي .

لو كان هناك شيء اخر ينقص لقداسة هذا الراهب الفذ ، فان هذه الضربة الاخيرة القاسية تعوض عنه ايما تعويض .

وبعد فترة وجيزة عبر رؤساؤه عن رغبتهم بعودته الى باتافيا . ليس للعمل هناك ، لانه شيخ عاجز تماما ، ولكن ليلقي نظرة اخيرة على قرية الشقاء هذه التي جعل المسيح حاضرا فيها لمدة سنين طويلة .

توفي فيها بطرس دوندرس يوم ١٤ كانون الثاني سنة ١٨٨٧ .

اعلن البابا يوحنا بولس الثاني طرباوية بطرس دوندرس في ٢٣ / ٥ / ١٩٨٢

العيد : ١٤ كانون الثاني

الفهرس

مقدمة ٣

١ . تاريخ رهبنة المخلص الاقدس ٥

١ ـ تأسيس الرهبنة ٧

٢ ـ نشاط الرسالات ١٥

٣ ـ انقسام الرهبنة ٢١

٤ ـ تحقيق الاتحاد ٢٩

٥ ـ انتشار عبر جبال الالب ٣٢

٦ ـ روح الرهبنة والتطور فى النشاط ٤٠

٧ ـ انشاء الاقاليم ٤٦

٨ ـ اتحاد تام ٥٢

٩ ـ الازمنة العصرية ٥٥

٢ . الاباء المخلصيون فى السرق الاوسط ٦٣

١ ـ الخابور ٦٦

٢ ـ بيروت ٦٧

٣ ـ بغداد ٧٠

٣ . جوانب من الامانة ٧٣

١ ـ القديس الفونس دي ليغوري ٧٥

٢ ـ القديس كليمنس ماريا هوفبلور ٨٩

٣ ـ القديس جيراردس مايلا ١٠٣

٤ ـ القديس يوحنا نبوميسينس نويمن ١١٩

٥ ـ الطوباوي بطرس دونلرس ١٢١

رقم الايداع ١٤٩١ في المكتبة الوطنية ببغداد لسنة ١٩٨٤

الاباء المخلصيون

الأب فرنسيس يوسف المخلصي